هل طفلك مصاب بالصمم

بقلم

الكابتن أحمد سامى

مدير العيادة المصرية لتحسين السمع

١٣ شارع أحمد عرابى (توفيق سابقاً)

تليفون ٣٤٧٩٤ بالاسكندرية

مطبعة دار نشر الثقافة

بالاسكندرية

مقدمة

إذا كان لك طفل مصاب بالصمم

مجموعة من الإرشادات القيمة لأمهات الأطفال الصم

تولى نشرها المركز المصرى للسمع لفائدة أمهات الأطفال الصم

بقلم

أحمد سامى

أخصائى فى السمع

كيف خرج هذا الكتاب إلى الوجود

بذلت الجهود العظيمة قبل سنة ١٩٤٦ لإنشاء برنامج للكلام والسمع فى مصر ، ولكن كانت ثمة جماعة واحدة لا تلاقى كبير مساعدة . وكانت تلك الجماعة مؤلفة من الأمهات ، أمهات الأطفال الصم الذين لم يبلغوا بعد السن التى تؤهلهم للالتحاق بالمدرسة . وكانت أولئك الأمهات لا يزالن عاجزات عن الحصول على الكفاية من الاستشارات الطبية والتعليمية والبسيكولوجية ، بل لم يكن فى وسع الكثيرات منهن أن يعرفن أين يجدن ما فى متناول الأيدى من المساعدة كائنا ما كان مقدارها .

ولذلك انضمت الجماعات التى كانت تعمل كل منها على انفراد لإنشاء برنامج للكلام والسمع ووحدت صفوفها فى صيف سنة ١٩٤٦ للنظر فيما تستطيع إسداءه

إلى أمهات الأطفال الصم الذين لم يبلغوا مرحلة الإلتحاق بالمدرسة ، ووضعت منهما لتعليم الكبار . وكان فى مقدور الأمهات أن يحضرن الفصل ومعهن أطفالهن الصغار ، ويلاحظن غرض التداريب وشرحها ويستمعن إلى الخبراء فى مختلف نواحى تدريب الأطفال الصم ، فيعدون إلى بيوتهن وهن أقدر على مساعدة الطفل فى المنزل .

ولقد نجحت هذه الخطة فقد رحبت الأمهات بالفرصة التى أتيحت لهن لقضاء عشرة أيام بمدرسة يمكنهن أن يتعلمن فيها كيف يساعدن أطفالهن الصم . وتدل جميع التقارير على أن كل واحدة منهن كانت تشعر أنها تعلمت شيئا محددا بينا ، وأنها كانت راضية كل الرضا عن إتاحة الفرصة أمامها للاشتراك فى دورات التدريب .

وهذا إحدى ثمار المؤسسة والبرنامج اللذين أنشأتهما تلك الجماعة . والمؤلفون الذين ساهموا فى وضع هذا الكتاب هم أناس اشتركوا فى منهج المؤسسة . ولكن لا ريب أن هناك أمهات لأطفال دون سن المدرسة لم يسمعن بهذا البرنامج وهن يستطعن الانتفاع بما يتيسر لهن من عون ومساعدة . وهؤلاء الأمهات هن اللواتى وضع من أجلهن هذا الكتاب .

الجماعات المتعاونة الخمسة التى أخرجت هذا الكتاب هى :

المركز المصرى للسمع . .

العيادة المصرية لتحسين السمع . .

الجمعية المصرية لضعاف السمع . .

عيادة علاج السمع . .

عيادة المحافظة على السمع . ؛

ماذا تستطيع الام أن تفعل
من أجل طفلها المصاب بالصمم

عندما كان ولدنا سمير فى نحو الشهر العاشر من عمره أسلم جفنيه للكرى بعد ظهر أحد الأيام وتأخر فى النوم جدا . واعتزمت إيقاظه وقد بلغت الساعة الرابعة تقريبا ، فقصدت إلى مكان نومه وأنا أهمهم فى طريقى كما تفعل الأمهات بكلمة مؤداها أنه قد أزف وقت استيقاظه . وأذكر جيدا اننى صفقت باب الحاجز بشدة . . . وكثيرا ما يتذكر المرء مثل هذه الأشياء . أجل صفقت باب الحاجز من خلفى ، ولكن سمير لم يستيقظ على هذا الصوت ، ووقفت بجانب مهده قائلة « أن لك أن تستيقظ يا سمير » ولكنى رأيت أنه لم يستيقظ فازددت اقترابا من المهد ورحت أعيد مرارا وتكرارا حتى كاد صوتى يصير صياحا فى أذنه « سمير ... استيقظ ! » وأخيرا مسسته فى رفق ، فانفتحت عيناه فجأة ورفع بصره نحوى .

وأدركت أنه أصم .

لم يكن لى قبل ذلك سابق عهد بأحد من ذوى الصمم ، بل لم أكن قد عرفت حتى شخصا من ضعاف السمع ، ولكنى أذكر انى رأيت اثنين ذات مرة ، ولقد كنت صغيرة جدا ، بيد أنى أذكر هذين الشخصين عندما مرا ببيتنا ، كما أذكر

ذلك المكان بالسياج الذى أبصرتهما من خلاله وهما يشيران بأيديهما . ولقد تحولت إلى جدتى أسألها : « من هما ولماذا يفعلان هكذا ؟ »

قالت : « أوه . . أنهما أصمان » (ويخيل إلىّ أنها قالت) « والمسكينان أبكمان » .

وهكذا ظللت لحظة أعتقد أن سمير لا يمكن أن يكون أصم لأنه لم يكن دون شك أبكم . لقد كان له صوت ، وكانت له ضحكة رائعة خلابة ، وصيحة ليست كضحكته من حيث الروعة والجمال ، ولكنها طبيعية تماما . وكان يخرج من الأصوات ما يخرجه جميع ذوى السمع السليم من الأطفال ، بل لقد كان يقول « ماما » .

ولكنى أيقنت أنه أصم ، ومضيت أختبره كل يوم بكل وسيلة أتيحت لى .

نال منى الخوف كل منال ، وإزددت على مر الأيام تأكدا من أنه لا يسمع صوتا ، وليس أبعث على الخوف والقلق من الجهل . ولم أنبىء أحدا قط حتى زوجى بما وقفت عليه .

ولن أنسى ما حييت أول مرة كاشفت فيها سواى بأن سمير لا يسمع . كنا إذ ذاك نقيم باحدى بلاد الاقليم المصرى الوسطى ، حيث كان زوجى موظفا بشركة كبيرة . وكان سمير طفلا جميلا جدا يسترعى الأنظار إذ ما خرجنا به إلى الشارع ، فينثنى إليه المارة ويرمقونه بنظرات الإعجاب ، وكثيرا ما كان يهتف بعض الناس : « ما أجمل هذه الفتاة الصغيرة ! » (وهو ما كان يضيق به زوجى ضيقا شديدا) وحدث ذات يوم أن تعرضت لنا سيدة تقيم بشقة بنفس المنزل الذى نقيم به وقالت « أهلا سمير » . واتفق أن كان سمير ناظرا إلى ناحية أخرى فانتابنى

أشد الخوف والإنزعاج ولكنى آثرت أن أخبرها أنه لا يسمع على أن أدعها تحمل الامر على محمل آخر .

وهكذا قلت لها وأنا أتكلف عدم الإكتراث : انه لا يسمع .

ووقعت هذه الكلمات من نفسها وقعا شديدا فقالت « أوه . . أنه لا يسمع » ثم عادت تقول فى ذهول وارتياع « أنه لا يسمع ! » وبلغ من شدة تأثرها انى فى محاولة تهدئة روعها والتأكيد لها بأننا لا نعنى بهذا الأمر كثيرا ، مرت بى تلك اللحظة العصيبة فى سهولة نسبية ، ولكن المرء لا يتمنى مثل تلك اللحظات !

ولأعد إلى تلك الأيام الاولى . علمت بأنى سأكون مع سمير بمدينة القاهرة قبل أن يمضى وقت طويل ، فعولت على الانتظار حتى اخذه إلى أخصائى فى الآذان هنالك ، ولقد ألقى على ذلك الاخصائى قليلا من الأسئلة ثم فعل ما أعتقد أن معظم أخصائيى الآذان كانوا يفعلونه فى ذاك الحين ولا يزالون يفعلونه حتى الآن ، إذ راح يقرع أجراسا صغيرة و ينفخ فى صفارات و يستعمل شوكة رنانة .

وأخيرا قال لى : « مدام سمير أن ولدك صغير جدا يا سيدتى فلا يمكن اختباره ، فعودى به إلى البيت وحافظى على صحته وأحضريه إلىّ مرة أخرى بعد سنتين »

أنبأته انى أعلم أن سمير أصم ، وإنى قصدته لكى أقف على نوع صممه ومما يمكن عمله له ، فقال انه صمم عصبى وليس ثمة ما يمكن عمله له . وسألته إذا كان ثمة ما نستطيع عمله فى البيت فأجاب بأنه لا يعرف شيئا فى الامكان عمله ولكن « ليس ثمة غير المحافظة عليه سليما معافى » فاذا ما بلغ السن الملائمة أمكن التحاقه بمدرسة الحكومة .

وعند ذلك ألقيت عليه السؤال الذى ما انفك يتردد فى خاطرى طوال الأسابيع القلائل الأخيرة : وهل يصبح فى مقدوره الكلام ؟

ولاح عليه الحزن والتأثر لما أعانيه وبعد أن أطرق وتلفت حوله . قال انه لا يرى كيف يمكن أن يتاح له ذلك ، إذ أننا نتعلم الكلام عن طريق السمع والمحاكاة . وانك لتعلمين الآن أن الطفل الأصم يمكن تعليمه الكلام ، ولكن ذلك الطبيب ، وهو من أعلام فنه فى مدينة القاهرة لم يسمع بذلك قط .

كتمت هذه الأمور كلها عن زوجى أطول مدة استطعتها ، ولكن لم يكن أمامى بد من مصارحته بها فى النهاية ، وحرنا فى أمرنا لا ندرى ماذا نفعل ، بل لم نكن ندرى ، كيف تكون حال الوليد ذى السمع السليم ، إذ لم يكن أحدنا قد عرف الأطفال وخبر أحوالهم . وعلى ذلك لم يكن أمامنا مناص من مخادعة أنفسنا وتسكين آلامنا وهواجسنا كما يلجأ الطبيب إلى المخدر لتسكين آلام المريض فرحنا نتحدث إلى سمير ، ونناجيه كما نناجى الأطفال ، ونغنى له على النحو الذى كنا ننهجه لو كان يسمع عنا ويدرك ما نقول .

وتشاء الصدفة والاتفاق أن يكون هذا هو ما كان يجب علينا فعله !

نفحة أخرى من حسن الحظ : وواتانا الحظ الحسن بعد ذلك بطريقة أخرى ، إذ كنا فى القاهرة عندما استتم سمير الواحد والعشرين شهرا من العمر ، وأخذته لأعرضه على أخصائى آخر فى الآذان . وفحص سمير على نحو مافعل الطبيب الأول وأنبأنى بما لا يختلف كثيراً عما قاله ذلك الطبيب : «صمم عصبى .. والسبب مجهول» وأنه لا يستطيع حياله شيئا .

ثم قال « ولكنك تعرفين ما فى مقدورك أن تفعلى من أجله . فى وسعه أن

يتعلم كيف يقرأ الشفاه ، وفى وسعه أن يتعلم الكلام ، وفى وسعه أيضا أن يمضى فى دراسته حتى التعليم الجامعى . انه يستطيع القيام بكل شىء تقريبا ما يستطيعه أى شخص صحيح السمع ، ولكن مهمتك شاقة مضنية ! » ثم أخبرنى بمدارس للصم ، وبالمركز المصرى للسمع حيث أستطيع الحصول على بعض المطبوعات التى تحوى معلومات قيمة هامة وهكذا ولم يمض سوى ثلاث دقائق أو نحوها حتى كان قد غير مجرى حياتنا بأكمله !

والآن ، فاننا إذا ما أقبل الأمهات والآباء إلى عيادتنا (عيادة سامى) بالاسكندرية ، أخبرناهم بما أخبرنا به ذلك الطبيب الكريم .

« فى وسع طفلك أن يتعلم كيف يقرأ الشفاه ، وفى وسعه أن يتعلم الكلام ، وفى وسعه أيضا أن يمضى فى دراسته حتى التعليم الجامعى ، انه يستطيع القيام بكل شىء تقريبا ما يستطيعه أى شخص ذو السمع السليم . ولكن مهمتك شاقة مضنية . ان الأمر بيدك لا بيد أحد سواك . ولك أن تمضى فى الحياة خافضة الرأس هما وكمدا ، والحزن يعصر فؤادك على نفسك . فى مقدورك أن تشقى نفسك وتشقى عائلتك وتشقى أصدقاءك (ولن يكون لك أصدقاء إلى أمد طويل إذا اخترت هذا السبيل أو تقبلى التحدى فى عزم وشجاعة وتحدى الباب إلى حياة خصبة مثمرة » .

ولما بلغ سمير الرابعة أخذته إلى المرحوم الدكتور . . جراح المخ العظيم وكان رفيق أبى فى الجامعة . كنا حينذاك بالاسكندرية ، فكتب إلى أبى أن اعرض عليه سمير . وأخبرنى الدكتور ... أن مخ سمير ليس به من سوء قط ، ثم أجلسنى ومضى يتحدث إلى نحو نصف ساعة .

وكان مما قاله لى « إنك لأم سعيدة المطالع ، فلسوف تكون حياتك ممتعة »

لم أفكر كثيرا فى ذلك الرأى حينئـــذ ، وما هى دون ريب بالحياة التى يتمناها المرء ويطلبها ، ولكنى تذكرت منذ زمن بعيد ما قال ، وانى لأدرك الآن انه كان حكيما بعيد النظر .

كانت حياتى ممتعة ، وكان أشد ما فيها لذة ومتاعا يتصل بسمير . فقد كان الأقوام الذين لقيتهم ، والأماكن التى ارتدتها ، والأشياء التى فعلتها ، بل كان كل ما عملت على اكتسابه من الدراية والمعرفة من أجله .

تحدثوا . . تحدثوا . . تحدثوا :

إنى لأعتقد أنه إذا كان ثمة شىء واحد نستطيع قوله لوالدى الطفل الأصم ، لكان « تحدثوا . . تحدثوا . . تحدثوا » .

ألم تفكر قط فى الجريان المستمر للكلام الذى يحيط بالطفل الصغير ذى السمع السليم منذ مولده ؟ هب أن والدة ذلك الطفل السليم السمع نظرت إليه وقالت « إنك لا تستطيع أن تفهم شيئا مما أقول ، ولذا فلن أتحدث إليك » ثم إذا ما سلخ من عمره ستة أشهر أو أكثر بدا لها انه قد يستطيع أن يفهم كلمات بسيطة قليلة مثل « ماما » و « بابا » وما إليهما فلم تستعمل سوى هذه الكلمات ، فما رأيك فى نوع الكلام واللغه الذين يكتسبهما هذا الوليد ذى السمع السليم ؟

ان الطفل السليم السمع يتعلم الكلام بواسطة السمع ، وهذه هى الوسيلة التى نتعلم بها جميعا أن نفهم ونتكلم . ولكن الحاجة إلى التخاطب عظيمة جدا فينا ، حتى اننا لم نستطيع الوصول إليها بطريقة ما ، وصلنا إليها بطريقة أخرى . فاذا كنا نسمع حصلنا عليها بواسطة آذاننا . ويمكن أن يتعلم الطفل الأصم أن يفهم

ما يقال له بقراءة حركات شفاه الآخرين ، ويستطيع فى النهاية أن يتعلم الكلام بمحاكاة حركات الشفاه التى يراها والذبذبات التى يحس بها على وجه معلمته . وهو يستطيع أيضا بطبيعة الحال أن يعبر عما يجول فى نفسه بحركات اليد ، وأن يفهم بواسطة قراءة حركات أيدى الآخرين . والأمر موكول إلى الوالدين ، ففى البيت يتقرر ما إذا كان ذلك الطفل سوف يغدو « ناطقا » . وإنك لتعرف أن صيرورته « ناطقا » تعنى استطاعته استعمال الكلام وقراءة الشفاه دون إضطراره إلى الالتجاء إلى استعمال الإشارات أو هجاء الأصابع . وطبيعى أن نرغب فى أن يعيد أطفالنا «ناطقين» إذا كان هذا ممكنا ، فعليك أن تتحدث وتتحدث وتتحدث .

وقد يحدث أن يقول لى بعض الناس « واعجباه ! لقد كنت أما عجيبة رائعة لسمير » . وانه لقول يلقى بى دائما فى شباك الحيرة والاضطراب إذ أعلم انى كنت ضيقة الصدر سريعة الغضب فى بعض الأحيان كأى أم أخرى . ولكننى قمت بعمل واحد على الأقل وكذلك فعل زوجى . كنا نتحدث ونتحدث ونتحدث .

أصيب سمير وهو فى السادسة من العمر بعلة أقعدته عن الذهاب إلى المدرسة زمنا طويلا . ولقد كان بالمدرسة منذ بلغ الثالثة واكتسب كثيرا من الكلام ، ولكن كان من الممكن أن يفقد هذا كله فى تلك السنة التى انقطع فيها عن المدرسة انقطاعا تاما . ولم يحفظ عليه ما اكتسب غير محادثتنا الدائبة وإلحاحنا عليه فى أن يتكلم . هذا هو ما يسر له التخرج فى مدرسة رأس التين . وإنى لعلى تمام اليقين من أن أحد العوامل الأساسية فى نجاحه هو هذه السياسة « تحدث . . تحدث . . تحدث » .

كيف تتحدث إلى الصم : هكذا أيتها الأمهات « أجل والآباء والعمات والأعمام والاصدقاء ، ومن إلى هؤلاء جميعا » تحدثوا . . تحدثوا . . تحدثوا ! تحدثوا كما كنتم تفعلون لطفل صحيح السمع . إن الأمر ليس واحدا طبعا ، ذاته لا يظهر على الشفتين سوى خمسة وأربعين فى المائة تقريبا من أصوات الكلام ، وعلينا أن نتيح للطفل فرصة لمشاهدة هذه الخمسة والأربعين . وعلى ذلك فيجب قبل كل شىء أن ينعكس على وجهك وأنت تتحدث أحسن ضوء ممكن ، ويجب أن تكون فى مستوى الطفل على مسافة لا تتجاوز الثلاث أو الأربع أقدام منه . واجتنب تحريك رأسك فانه لمن العسير تتبع حركات الشفاه على أية حال ، وإذا حركت رأسك غدا ذلك مستحيلا . أما إذا حركت يديك ، فان الطفل لن يصرف انتباهه إلى ملاحظة وجهك قط .

ولكن ينبغى فوق كل شىء أن تتحدث على نحو طبيعى غير متكلف . فلا تمط الكلمات مطا ، ولا تنطق بالحديث كلمات متقطعة . ان للكلام انسجاما فتحدث فى جمل تامة كاملة ، واستعمل أجود ما يمكن أن يتهيأ لك من الأساليب ومن الممتع جدا ملاحظة الناس حين يتكلمون ، فكثير منهم لا يحركون الشفة العليا أبدأ ، وكلام أكثرنا فى الحقيقة ضعيف جدا . فنحن نغمغم ، ونحن نتحدث وفى أفواهنا السيكارة أو السيجارة وظهرنا إلى الناس على الطريقة العتيقة .

إننا نعلم أنهم سيفهمون عنا .

ولكنك لا تستطيع أن تتحدث على هذا النحو إلى شخص أصم .

قفف أمام مرآة وأنظر كيف تتحدث . هل تحرك شفتيك جيدا ؟ إن تحريك كلتا الشفتين أمر لابد منه فى المحادثة الجيدة . لاحظ نفسك ، وانطق بكلمات قل ما تقوله عندما تتحدث إلى طفلك .

استعمل جملا كاملة ، وأطل من وقفاتك قليلا فوق ما تفعل فى العادة ، ولكن اجعل وقفاتك حيث ينبغى أن تكون .. فى نهاية الجمل ، وفى نهاية المقاطع حيث توجد علامات الوقف .

وثمة أمر آخر على أعظم جانب من الأهمية ينبغى أن تتذكره عن كيفية التحدث إلى الصم . إنك مع الطفل الذى يسمعك تستطيع أن تتحدث عن شىء حدث بالأمس أو فى الأسبوع الماضى أو سوف يحدث فى الأسبوع المقبل أو غدا ، ولكنك لا تستطيع ذلك مع الطفل الأصم أو فى أول الأمر على الأقل . إن جميع التعليم الأولى يكون بالمحاكاة والتقليد ، والتقليد هو المطابقة بين شىء وآخر سواء أطابقت بين لون وآخر ، أو بين أداة وأخرى ، أو بين وضع وآخر ، أو بين صوت وآخر . وقراءة الشفاة مطابقة بين حركة الشفتين و بين شىء أو عمل ، وفيما بعد بينها و بين فكرة . وعلى ذلك فيجب أن تتحدث عن شىء هناك حقا ، عن شىء يحدث أو يوشك أن يحدث . و بعبارة أخرى يجب أن تطابق بين الفعل والكلمة .

فمثلا : « امسح فمك » . هذه جملة مفيدة ! تستطيع أن تستعمل هذه الجملة كثيرا . فعندما يطلع عليك طفلك بفم قد لوثه اللبن أو أثر الطعام ، كان فى وسعك أن تقول « امسح فمك » ثم تمسح فمه فعلا . وفى كل يوم تسنح لك الفرصة عند الوجبات الثلاث لتقولى وتفعلي ذلك ، حتى يأتى يوم

لعله بعد المرة الخمسمائة يتناول طفلك منديله ويمسح به فمه ، وهـذه هى قراءة الشفاه . ولسوف يكون هذا فوزا له وفوزا لك . وهكذا أعيد قولى « تحدثوا . . تحدثوا . . تحدثوا » . وهناك أشياء تستطيعين أن تقوليها كل يوم مثل « حبنى » « ألبس حذاءك » « اعقد ربطة عنقك » « اغسل يديك » « هيا بنا نخرج » ومئات أخرى من العبارات . وعليـك أن تقرنى القول بالعمل فورا ، وسرعان ما يربط الطفل تلك المجموعة الصغيرة المعينة من حركات الشفاه بذلك الفعل المعين .

انه طفل أولا وأصم ثانيا : هناك بعد ذلك شىء آخر يجب أن تفعليه وهو لا يقل أهمية عن « تحدثوا . . تحدثوا . . تحدثوا » . ان أهمية مبدأ « تحدثوا . . تحـدثوا » تقوم على كونه طفلا أصم . ولـكنه طفل قبل كل اعتبار آخر . ونمو الطفل كله وتقدمه لها من الأهمية مثل ما للمساعدة الخاصة التى يجب أن تقـدم له لأن الأقدار شاءت أن يكون طفلا أصم . ونمو الطفل عبارة عن عادات تكتسب اكتسابا . وما أخالك تتصورين أننا خلال السنوات الخمس أو الست الأولى من حياتنا نحصـل على عدد عظيم جدا من العـادات التى تلازمنا طول حياتنا . وأعنى بذلك عادتنا الخاصة بالنظافة والطاعة والشجاعة والأدب وحسن الهندام والرفق بالحيوان وجميع هـذه الصفات التى تجعل حياتنـا وحياة من يحيطون بنـا أكثر لينـا ودعة وأوفر هنـاءة وسـعادة . واننـا لا نفتـأ نقـول للأمهـات اللواتى يختلفن إلى عيـادتنا أن يتصـور أحسن طفل يستطعن تصـوره ، لا من حيث المظهر الخارجى فقط وان كان لذلك أثره وفائدته ، بل من حيث الصفات الداخليـة ، وأن يحاولن أن يجعلن أطفالهن على غرار تلك الصورة .

ولنعد إلى موضوع «المحاكاة» التى أشرت إليها آنفا ، تلك العملية الخاصة بالمماثلة والملاءمة . إذ كرى إنك إذا طلبت إلى طفلك أن يقوم بعمل ما ، فان تستطيعى أنت أن تقومى بعمل آخر ، إذ أنه سوف يفعل نفس ماتفعلين . سوف يعكس كل ما تفعلين معه أو به أو أمامه . إن الأمهات ليسألن « كيف أعلم طفلى؟ » ولـكنك تعلمينه فعلا كل يوم . فالمسألة فى الحقيقة هى ما الذى تعلمين طفلك اياه . فكل ما تأتين من أفعال يبصرها الطفل ويحسها فهى «تعليم» . ان الطفل يبدأ يتعلم منذ مولده ، وسيظل ماضيا فى التعلم . والأمر الخليق بالاهتمام حقا هو ما الذى يتعلم ، وهـذا موكول إليك .

فاذا جذبته وصفعته لأنه أتى شيئا «رديئا» فانه يميل فى المستقبل إلى الجذب والصفع . فعليك أن تـكونى واسعة الصدر معه ، وكل مايحدث هو صورة صغيرة ترتسم أمامه . وأنه ليختزن هـذه الصور الصغيرة كلها ، وهى بالنسبة إليه أمثلة ونماذج للسلوك سوف يلائم بينها و بين سلوكه الشخصى و يتخذ منها منوالا ينسج عليه . فلا تشق عليه ولا تضاعفى من أعبائه ، فان أمامه لمهمة شاقة فعلا ، وأن أمامك لمهمة شاقة كذلك . وأذكرى دائما أن أمامك فى النهاية هدفا تتطلعين اليه ، فاذا أردت أن تصوغى حياته وتكييفها فان الوقت الحاضر هو أنسب وقت للبدء فى صوغها وتـكييفها .

تعليم الـكلام للاطفـال الصم : ولـكن ما الذى تستطيعين عمله غير ذلك ؟ انك كبقية الأمهات طبعا من حيث رغبتك فى معرفة متى يتكلم طفلك وما الذى تستطيعين عمله نحو الـكلام وأكبر الظن أن ما تفـكرين فيه حقا هو «الابانه» وليس «الـكلام» ، أى المقدرة على النطق بالـكلمات بحيث يفهمها من توجه إليه .

ومهما يكن الأمر ، فان الكلام يعنى أكثر من مجرد القـــدرة على النطق نطقا مفهوما . فان عليك أن تكونى راغبة فى الكلام ، وعليك أن يكون لديك ما تتكلمين عنه وهكذا فانك سواء أمكنته من النطق أم لم تفعل فان فى وسعك أن تثير فيه الرغبة فى الكلام . ويجب أن يكون الفهم الصحيح مقدما على الكلام . وفى معظم السنتين الأوليين من التحاق الطفل بمدارس الحضانة لا نفعل شيئا على الاطلاق نحو الابانة فى النطق بل تنفق هذه الفترة فى انماء مداركه وإعداده للكلام قراءة الشفاه وتعريفه للكلام . وأكثر هذه الأشياء يمكن القيام بها فى البيت ، وأكثره يتم القيام به فعلا بواسطة تعليم الوالدين فى البيت .

وعلى ذلك فاننا فى عيادة سامى نوجه كثيرا من العناية والاهتمام إلى تعليم الوالدين ، ولدينا منهج لتعليم الوالدين يتألف من فصول الوالدين ومدرسة للحضانة تدخلها الأم وطفلها كوحدة . . ولدينا فضلا عن ذلك للذين لا يستطيعون الحضور إلى العيادة منهج بالمراسلة فى تعليم الوالدين . وهذا يلقى على عاتق الوالدين مسئولية كبيرة ، ولدينا كثير من مختلف الطبقات يتلقون هذا المنهج فى جميع أنحاء العالم . وقد انقطعت عن الدرس مثلا سيدة واحدة تحمل الدكتوراه فى الفلسفة لأنها فيما زعمت لا تملك من الوقت ما تخصصه لطفلها الصغير البالغ سنتين من العمر ! ولكننا تلقينا من الناحية الأخرى رسائل من أمهات يسألن عن المنهج ، وهى رسائل كانت مليئة بالأخطاء الهجائية ، فكان طبيعيا أن نتساءل فى أول الأمر «انها لن تستطيع قراءة المنهج» ولكننا برغم ذلك أرسلنا إليها الدروس . وقد أقبلت عليها فى جد ونشاط ، فتعلمنا أمرا هاما : ان تدريب الطفل الأصم لا يتطلب ثقافة كبيرة ، بل يتطلب محبة ومثابرة وسعة صدر ، وربما يتلو ذلك ميل إلى التفكه

والدعابة ، وشيء من حسن الإدراك والفهم ، فهل فى هذا ما يستكثر على أم من الأمهات ؟

كيف نعلم الكلام فى العيادة ؟ إننا نبدأ بتمريض الطفل للكلام بواسطة البصر واللمس ، والى النحو الذى يرتسم به على الشفاه ، والطريقة التى يؤثر بها فى الحس ويده على وجه المتكلم . والطفل السليم السمع يسمع الكلمة مرارا كثيرة وتغدو ذات معنى بالنسبة إليه قبل أن يحاول النطق بها . وهكذا نرى أن الطفل الأصم يجب أن تهيأ له الفرصة لرؤية الكلمة والإحساس بها ، وأن يفهم معنى الكلمة عن طريق قراءة الشفاه قبل أن نتوقع منه النطق بها .

وطريقتنا هى هذه تقريبا : نبدأ باجلاس الطفل وبيننا طاولة صغيرة (وقد كتبت إلينا إحدى الأمهات بأنه لا يوجد لديها « طاولة صغيرة » . فاذا كان هذا هو الحال معك فلا بأس ! ضعيه على الأرض أو على السرير أو على الحشائش فهذا لا يهم) . ولدينا على المائدة كرة أو ما يشبهها وفردة حذاء طفل صغير وفى حجرنا تكون كرة أخرى وفردة الحذاء الثانية ، وإنك لترى إننا نلائم بين الأشياء ونجمع بين الشيء وشبيهه . ثم نتناول يده ونضعها على وجهنا .

أذكر أن المفروض أن هذا لهو وتسلية . إنه لعبه . وليس من المفروض فى الأطفال أن يعملوا إذ أن عملهم هو اللعب ، ولكنهم يستطيعون أن يتعلموا كثيرا من الأشياء بواسطة لعبهم . وهكذا نضع يده على وجهنا ونتركها كذلك . ثم نأخذ فردة الحذاء من حجرنا ونقول « هذا

حـذاء» أو قد تقول « أنظر إلى الحـذاء » أو « ما أجمـل هـذا الحذاء »
ولا يهم ماتقول ما دمت تقول شيئا عن الحـذاء ، وما دمت تقول جملة كاملة
ثم نسأل « أين فردة الحذاء الأخرى ؟ » ونضع فردة الحذاء على الطاولة بجانب
قرينتها ونقول « ها هي ! » .

قد لا يكون الطفل واقفا على ما تقول ، ولـكنك بذلك تعرضه للكلام والحفه
والطفل السليم السمع لا يفهم فى أول الأمر أيضا ، ولـكنك لا تكف عن مكالمته ،
وهذا ما ينطبق أيضا على الطفل الأصم .

فاذا لم يكن قد تجاوز الثانية أو الثالثة من العمر ، فقد يكون فيما تقدم ما يكفى
فى يومه . والآن قد يكون من المناسب إجراء مماثلة الألوان والصـور . وقد يجرى
فرارا منك فاذا فعل ذلك فلا تحاولى أن ترديه فان الواجب أن يجد من نفسه دافعا
إلى العودة ومشاهدة ما تفعلين لا أن يرغم على العودة ارغاما . وربما بدأنا فى
اليوم التـالى بالحذاء مرة أخرى بنفس الطريقة أو ربما بدأنا بالـكرة . « أنظر
إلى الكرة الجميلة » « أين الـكرة الأخرى ؟ » وما إلى ذلك . وسرعان ما ترين
انك تستطيعين أن تسأليه « أين الـكرة ؟ » وسوف يشـير إليها . ويمكنك أن
تقولى « أرنى الحذاء » فيشير اليه .

ويتوقف مقدار الوقت اللازم لوصوله الى هذا الفهم على سنه بطبيعة الحال
وعلى استعداده وحظه الطبيعى من الذكاء . فقد لا يستغرق ذلك سوى بضعة أيام،
ولـكن اياك أن تثبط همتك ويتداخلك الكلل واليأس اذا تطلب الأمر بضعة
أسابيع أو أشهر . وابتداء من هـذه النقطة نمضى فى اضافة كلمات جديدة ، مع
الحرص على أن تكون الكلمات دائما شديدة التباين فى المظهر ، تزيد من فهمه
وإدراكه ، وتبعث فى نفسه الرغبة فى الـكلام ، وتهيىء له شيئا يتكلم عنه .

وهذا جميعه ينطوى تحت عنوان « الاعداد للكلام » أو « قراءة الشفاه » . والتمتمة بمثل « دا . . دا . . دا » أو « با . . با . . با » ونثر الريش وقصاصات الورق الصغيرة وكرات البنج بونج ، كل هذه جزء من الاعداد للكلام أيضا .

ولكن متى يبدأ الكلام فعلا ؟ ان هذا يتوقف كذلك على سنه وعلى استعداده وحظه الطبيعى من الذكاء ، كما يتوقف على مقدار العون الذى يتلقاه فى البيت . ولكن هذا هو ما يعرض لكل طفل فى العيادة ، وسينتهى به الأمر إلى الاقبال علينا بكلمة ينطق بها من تلقاء نفسه . وانى لأذكر طفلة صغيرة لم تكن قد فاهت بكلمة واحـــــدة وقد كاد ينقضى السنة الأول . كانت تخرج أصواتا ولكنها لم تخرج صوتا واحدا ذا معنى أى كلمة ، ولكن ذلك حدث ذات يوم ! وسوف يحدث مثل ذلك لجميع أطفالكم .

سوف تقولين ذات يوم « اذهب إلى السلة وجئنى بكرة » وسوف يقول الطفل وهو يتحول للذهاب « كو » . انه لن ينطق بالكلمة نطقا كاملا ، ولكنها ستكون كأول كلمة ينطق بها الطفل السليم السمع سواء بسواء . وهكذا تمضى سنتين كاملتين فى العمل على بناء الفهم والكلام التلقائى . وفى السنة الثالثة نبدأ فى تعليم المبادىء اللازمة لمحاولة النطق الصحيح .

وجميع الأطفال الذين مضى عليهم معنا بالعيادة ثلاث سنين يتكلمون جملا كاملة . ولا ريب أننا لانفهم عنهم دائما ، ولكن هذا هو شأن غيرهم من الأطفال عادة ! وتصحيح الكلام لن يكون أمرا ضروريا لسنة واحدة فقط أو خمس سنين أو عشر سنين ، بل لن ينتهى ذلك قط .

وانى لأصحح دائما كلام سمير ، حتى لأظن فى بعض الأوقات انى أسرف فى ذلك . وسوف يكون دائما فى حاجة إلى تصحيح كلامه ، ولكن كلامه يزداد تحسنا فى كل سنة . ويحدث أحيانا أن يعجب بعض أصدقائنا الذين نلقاهم بعد

فترة طويلة لم نرهم فيها لما طرأ على كلام سمير من التحسن العظيم ، فأخبرهم أن الأمر لا يعدو أنهم ألفوه وأصبحوا أقدر على فهمه ، ولكنى أعلم فى دخيلة نفسى أن هذا ليس كل ما فى الأمر ، فان كلامه ليتحسن بلا ريب .

ليست مأساة : انى اتخذ سمير مثلا لأنى لولاه ما كنت مضطلعة بهذا العمل الآن . ولا يوجد سوى ثلاثين أو أربعين فى المائة من الصم مصابين بالصمم الكامل ولا يملكون شيئا من قوة السمع على الإطلاق . وسمير من هؤلاء ولكنه مع ذلك يتكلم على نحو مفهوم . أجل ان الناس إذا عقدوا حول أنفسهم العقد وظنوا أنهم لا يستطيعون فهمه فلن يفهموه ، ولا بد أن يكون بين الناس دائما من لا يفهمون . ولكنه يسير سيرا مرضيا فى مدرسته . أجل أنه لا يستطيع الإصغاء إلى المحاضرات (وهو يحصل عليها من مذكرات طالب آخر ومن قراءته الاضافية) ولكن الكلام وقراءة الشفاه أفاداه فائدة فوق كل تقدير فى اعداده الاجتماعى . فهو يذهب إلى الحفلات الراقصة كما يذهب إلى كل مكان ؛ وهو يغتنم كثيرا من أسباب المرح والسرور ، ويجيد لعب التنس وركوب الخيل برغم ما به من شلل الأطفال .

ولك أن تصدقى أو لا تصدقى أن الحياة كانت سارة بهيجة . أجل . . لقد صادفتنى أوقات عصيبة وأتوقع أن تعرض لى مثلها مرة أخرى ، ولكنك لا تتوقعين أن تجدى طريق الحياة كله سهلا معبدا خلوا من الصعاب . وهذا بعينه هو ما كان يعنيه الدكتور . . . عندما قال « انك لأم سعيدة الطالع ، فلسوف تكون حياتك ممتعة » . فان فى وسعك أن تجلسى فى استكانة واستسلام وتتركى الأمور تسير عن يمينك وعن شمالك فى مجراها إذا شئت ، ولكنك لن تزدادى شيئا . فان الزيادة والنمو لا ينتجان إلا عن الجد والكفاح دون غيرهما . وكل شىء يتبدل إذا ما أوتيت فى هذه الحياة هدفا يستحق أن تعملى من أجله . ولقد

لاحظت الأمهات اللذين يحضرن ثانية إلى العيادة بعد ثلاث سنين وأرى أنه مما يكاد يكون صحيحا بالنسبة إلى جميع الحالات أن أولئك الأمهات أشد اليوم فتنة وأرعى للاهتمام مما كن يوم جئن إلى العيادة أول مرة .

وانى لأذكر بصفة خاصة سيدة منهن . كانت من بلدة صغيرة بالوجه البحرى وكانت عادية الهيئة من حيث الرقة والظرف ولكنها لم تكن فاتنة أو جذابة بوجه من الوجوه ، كان هندامها مهملا قليلا وكان يبدو أنها لم تكن تعيره كثيرا من الإكتراث ، وكانت بادية الهم والنكد ، فريسة للوجوم والذهول . وكان طفلها فى الخامسة من عمره ، ولم تكن تعرف انه يمكن أن يتعلم الكلام . وحضر كلاهما العيادة ، وتعلما السبيل إلى تحقيق ما يبتغيان إذ كان لدى الطفل لحسن الحظ فضله صغيرة من قوة السمع . ثم انتقلت الأسرة

ولقيتها منذ عهد قريب فاذا الغلام فى أحسن حال وهو يلبس جهاز سمع . ولكنها هى التى أثارت دهشتى وعجبى فلم أكد أصدق أنها نفس المرأة ! لقد كانت عليها سمات المرح والنشاط ، وقد نسق شعرها بشكل جذاب ، ونقص وزنها وهو ما كانت حاجة إليه ، وصارت ثيابها جميلة أنيقة ، وتغير منظرها بأكمله . وانى لأعلم الآن أنها كانت معمعان كفاح ، إذ لاحظتها وطفلها فى الخامسة من عمره فكان عليها أن تبدل وجهة نظرها وموقفها . وها هى قد تغيرت فعلا ، فغدت أوفر مما كانت سعادة وسوف تكون حياتها كلها أكثر بهجة ومتاعا .

عيادة سامى — لعلك فيما يرجح ترغبين فى معرفة كيف أنشأنا عيادة سامى . وكثير من الناس لا يفتأون يكتبون إلينا قائلين « نحب أن ننشىء عيادة فماذا ينبغى أن نفعل ؟ » حسنا . . . ان ما ينبغى عمله هو انشاء العيادة فعلا ! اننا لم نبدأ عملنا إلا فى سنة ١٩٤٦

وكنا فى أول الأمر جماعة تتألف من ١٣ أما فقط ، وقد ألفن ما يمكن أن

يسمى « جماعة دراسة الطفل » . وكنا نجتمع كل اسبوعين . وكان أطفال غيرى من الأمهات فى السادسة من العمر أو دونها . وكان معظم أولئك الأمهات لا يعرفن شيئا قط عن هذه المشكلة ، كما كان بعضهن عندما بدأنا لا يزلن تنهمر الدموع من عيونهن كلما تحدثن عن أطفالهن وها هن يضحكن الآن مما يأتى أطفالهن من ألوان الفكاهة والعبث . فان هؤلاء الأطفال ليأتين فى الحقيقة من الأعمال مالا يقل طرافة عما يأتيه ذوو السمع السليم من الأطفال .

وكنا عندما بدأنا لا نتجاوز الاجتماع معا والتحدث فى مشاكلنا ، فقالت إحدى الأمهات ذات مرة « انه لمن الغريب أن يكون فى مقدورك ارسال شعرك » ، وهذا هو كل ما كنا تقوم به طوال السنة الأولى . إنما كنا نجتمع ونحاول أن نزيد معلوماتنا عن صغار الأطفال . وكان لدينا معلم فى «ارشاد الطفل» وكان العمل بذلك الفصل قائما على أساس بسيكولوجية الطفل العادى . وما أكثر ما ينظر الوالدون والمعلمون على السواء إلى الصمم وحده دون الطفل ، الطفل العادى السليم تماما .

وبدأنا العمل ، الأمهات منا والأطفال خلال أول دورة صيفية لنا ، وكان معظم الأطفال دون السادسة من العمر . وظلوا يحضرون يوميا لمدة ستة أسابيع ، ووضعنا « برنامجا » وحوالى منتصف سنتنا الأولى بدأنا فى ارسال منهجنا بالمراسلة للطالبين .

هذا هو الأمر كله قد وقفت عليه ! كانت كل خطوة تنأوي بنا إلى غيرها ، وما كنا ندرى منذ ثلاث سنين ونصف أين نكون اليوم ، فالأمر الجوهرى إذن هو البدء فى العمل . اجمعى جماعة معا ، وكل ما تحتاجين إليه لهذا الغرض هو مكان للاجتماع . وقد بدأنا فى بيت صغير واحد ، ولكن الآن بفضل المركز المصري للسمع بيتان ، وقد وعدونا ببيت ثالث في هذه الدورة .

هذه إذن هى بعض الأشياء التى تستطيع الأم عملها لكى تتيح لطفلها الأصم الوثبة الأولى فى المضمار ، وهى الوثبة التى قد تمكن من كسب السباق كله .

امضاء مدام سمير

كيف ينمو الطفل

فلنتناول الآن عملية نمو الأطفال جميعا ، فان الطفل الأصم أو الضعيف السمع لا يزال طفلا على أية حال . انه ينمو كسائر أقرانه ، والأشياء التى تساعده على النمو لا تختلف اختلافا أساسيا عن تلك التى تساعد غيره من الأطفال على النمو .

والأطفال ينمون أو يتقدمون من عدة نواح هامة . ونحن فى العادة نقسم هذه النواحى إلى ثلاثة أقسام رئيسية .

فالطفل ينمو بدنيا : انه ينمو فى الطول ، وينمو فى الوزن ، وتتبدل نسب جسمه كلما تقدم فى طريق النمو ، وهى حقائق واضحة غنية عن كل دليل .

والطفل ينمو عقليا : وأنك لتعرفين هذه الحقيقة أيضا ولكن أكثر الناس لا يعرفون عنها بقدر ما يعرفون عن النمو الجسمانى . وليس فى وسعنا فى العادة أن نفعل شيئا كبيرا لتغيير النمو العقلى ، إلا من حيث اتاحة كل فرصة نستطيعها لهذا النمو بتقديم أقصى فرصة تعليمية ممكنة إلى الطفل . وفى فترة ما قبل المدرسة للاطفال الصم ، يكون هذا النمو العقلى من أهم ما يستوجب التفكير . فانه ليكون عليك حينذاك أن تقدمى لهم من أنواع التعليم أنسبها لهم وأكثرها مطابقة لحاجاتهم .

والطفل ينمو من حيث مشاعره وأحاسيسه . وهو أمر ليس كسابقيه وضوحا

وجلاء ، ولكن من المؤكد على الأقل أنه ليس دون سابقيه أهمية مضطرا . ولما كان ينطوى على أهمية خاصة لتنشئة الأطفال الصم ، فسأنفق جل وقتى فى الحديث عن مشاكل تطور المشاعر وتقدمها . وإذا لم ندرك أن مشاعر الطفل تنمو ، فقد نجعل من العسير على الطفل مسايرة المجتمع عندما يبلغ أشده ويتجاوز طور الطفولة . وهل هذا إلا الأمر الرئيسى الذى نعنى به ونهتم له أشد الاهتمام ؟ ألا تريد من طفلك عندما يبلغ عنفوان الشباب أن يشق سبيله فى الحياة ويضطلع بمسئولياته ؟

لماذا لم نعرف المزيد عن ذلك ؟ برغم حظ هذا الأمر المتعلق بالنمو والتقدم جسمانيا وعقليا وفى المشاعر والأحاسيس من الوضوح والمنطق ، فمن الغرابة بمكان أننا لم نعره كثيرا من الاهتمام إلى عهد غير بعيد . ويخجلنى بصفتى طبيبا للاطفال الصغار أن أعترف بهذا الاهمال الواضح ، ولكن لذلك سببا قويا .

لقد كان أطباء الأطفال حتى عهد قريب عاكفين على محاولة الاهتداء إلى ما يجب عمله فى الأمراض الجسمانية التى يعانيها الأطفال الذين يعرضون علينا ، كما كنا عاكفين كذلك على معالجة الأدواء التى كانت معلومة لنا . ولكن كانت هنالك علل كثيرة لا نستطيع حيالها عملا كبيرا . تلك كانت الحالة الأليمة لهذه الشئون حوالى منتصف هذا القرن .

أما الآن ، مع ازدياد عدد الأطفال الذين يأخذون الحقن والتطعيم ، ومع اكتشاف واستعمال العقاقير كعقاقير السلفا والبنسلين والاستربتوميسين ، فان قليلا من الأطفال يصابون بالأمراض المعدية المريعة التى كانت فيما قبل تستغرق معظم وقت طبيب الأطفال . والذين يصابون بتلك الأمراض يعالجون بسرعة تشبه المعجزات ، وبذلك يوفرون الوقت أيضا للطبيب .

ونحن نستفيد بهذا الوقت ، وقد أتيحت لنا الفرصة لتوجيه العناية اللازمة

للنمو الشعوري والجسماني . وفى وسعنا الآن أن نزيد من العناية الايجابية بتحسين صحة طفلك ، فلن يقتصر علاجنا على حالة مرضه .

كيف تعملين على نمو جسم طفلك : أنك تعرفين فعلا كثيرا من الأشياء عن مساهمتك فى نمو طفلك الجسماني . فأنت تعرفين أنه يجب أن يتغذى وأنت تعرفين أن غذاءه يجب أن يحتوي بعض مواد السكاربوهيدرات (الموادالسكرية والنشوية) و بعض البروتينات (من البيض واللحم) و بعض الدهن (من اللبن والزبدة) و بعض المعادن (من اللبن والخضر وغيرها من الأغذية) ثم أنه يحتاج بصفة هامة جدا إلى تلك الأشياء التى نسمع عنها طوال يومنا فى الاذاعات اللاسلكية ونراها فى كل عدد من أعداد الصحف وهى الفيتامينات .

والأطفال جميعا يحتاجون إلى فيتامينات معينة إذا أردنا أن ينموا نموا صحيحا إذا أردنا أن نوفر لهم بعض الوقاية من الأمراض المعدية . ولا ريب انك كنت تقدمين إلى طفلك الفيتامينات فى صورة من الصور طوال هذا الزمن . وفيتامين ا و ب فى صورة زيت كبدالحوت أو احدى خلاصات زيت كبدالحوت هام بصفة خاصة لجميع الأطفال طوال طور نموهم لا عندما يكونون فى أول الطفولة فقط . وفيتامين ج فى صورة عصير البرتقال أو مشروبات ثمار الموالح هام بصفة خاصة للمحافظة على حسن قيام الأوعية الدموية للطفل بوظيفتها كما ينبغى ، والمساعدة على نمو العظام نموا صحيحا .

ولكن تذكرى أننا لا نجعل الطفل ينمو عندما نغذيه بالمقادير المناسبة من السكربوهيدرات والبروتينات والدهون والمعادن والفيتامينات المتوفرة فى غذائه. انما نساعد الطفل على بلوغ امكانياته الجسدية .

ولنوضح الأمر بطريقة أخرى . أننا لن نعمل على ازدياد طوله بل لن نزيد على تمكينه من النمو طولا بقدر ما تتيح له عوامل الوراثة الخاصة به . ولن نمنحه

شيئا لا يملكه فعلا، وإنما نحن نيسر له الحصول على كل ما يمكنه الحصول عليه من النمو .

وهكذا لن يكون من المجدى بوجه من الوجوه أن نزيد من كميات الفيتامين للطفل فوق ما يحتاج إليه منها للنمو إلى المستوى الذى هيأت له الطبيعة . وتشبه عملية النمو بعض الشبه ملء خابية سعتها ١٢ جالونا فانك لا تستطيعين ان تفرغى فيها ١٣ أو ١٤ جالونا لأنها لا تتسع لأكثر من ١٢ جالونا . فاذا حاولت ذلك سالت الزيادة على الأرض . وهذا هو ما يحدث تماما إذا غذيت طفلك بأكثر من طاقته أو حاجته من الفيتامينات . انها تفيض عنه وتذهب جفاء .

ومن حسن الحظ ان الاسراف فى اعطاء هـذه العناصر الغذائية للطفل لا يحدث ضررا فى العادة ، إذ يفيض بعضها فى معظم الأحيان ويكون هذا هو كل ما يحدث . ولـكن ثمة خطرا بسيكولوجيا من ارغام الطفل على تنـاول أكثر مما يحتاج إليه من هذه الأشياء ، فاذكرى ألا تتجاوزى الحد فى ذلك .

ومن العسير فى الحقيقة أن يوقف نمو الطفل جسمانيا . فان جسمه سيطلب عادة ما هو فى حاجة إليه ويتناوله ويكتفى بذلك . ولـكننا عندما نتكلم فيما بعد على النمو الشعورى سوف نجد أن هذه الحقيقة لا تنطبق فى تلك الناحية .

الوقاية من المرض تساعد على نمو طفلك أيضا . ان الأمراض المعدية الحادة أو الأمراض الحادة كأننا ما كان نوعها قد تعوق نمو طفلك ، ولكن هذه العدوى يجب أن تستمر وقتا طويلا حتى تكون عائقة للنمو فى العادة ، فاذا أوليته العناية الطبية العاجلة كان فى وسعك الثقة من أنه لا يزال ماضيا فى طريق النمو الطبيعى .

ومن الاحتياطات الهامة التى ينبغى أن تأخذيها بالنسبة إلى طفلك اعطاؤه الحقن والأمصال لجميع الأمراض التى توجد لها حقن وأمصال . وكل طفل يجب أن يحصل على هذه الوقاية طبعا ، ولـكنى أرى أن لهـا أهمية عملية بالنسبة إلى الأطفال الصم أو الأطفال المصابين بأى نوع من المعوقات الجسمانية ويجب أن

يعطوا الحقن أو الأمصال ، إذ ثمة ليس ما يبرر زيادة ما يعانون من الصعاب والشدائد .

وهذه هي الأمراض التي نوصي بالحقن والامصال الواقية منها :

(١) السعال الديكي (٢) الدفتيريا (٣) حمى التيتانوس (٤) الجدرى .

وسيعطى طبيب العائلة ، وفى بعض الأحوال أخصائى الأطفال، يعطو لطفلك هذه الحقن والأمصال إذ لم تكونى قد قمت بذلك فعلا .

وهناك بعد ذلك اصابات البرد .

وأهم ما ينبغى ادراكه فيما يختص باصابات البرد هو أن هذه الاصابات يمكن أن تؤثر على السمع . فان الأذن متصله بالمناطق التنفسية العليا حيث تسبب اصابات البرد التهابا . فاذا عولجت تلك الاصابات فوراً كان حدوث مضاعفات عنها الى الدرجة التي تؤثر على سمع طفلك ضعيف الاحتمال . ومن الواضح دون ريب انك يجب أن تتصلى بطبيبك بمجرد اصابة طفلك ببرد وانك يجب أن تعالجيه علاجا صحيحا . ومن مهماتك الأساسية الواضحة انك يجب أن تقى كل قدر من السمع قد يكون فى طفلك وتحافظى عليه .

غذاء للشعور : كما أن طفلك يحتاج الى الكربوهيدرات والبروتينات والشحوم والمعادن والفيتامينات فى غذائه لمساعدته على النمو جسمانيا ، فانه فى حاجة الى أن يتغذى بشعور بالأمان والطمأنينة فى تنشئته لمساعدته على النمو فى احساساته : ولكن ما هو هذا الشعور بالأمان ؟ اننا معشر الكبار نتحدث عن الأمان فى سهولة ويسر واستخفاف ونأخذه قضية مسلما بها كأنه لا يتطلب كدا ولا عناء . وانا لنتحدث عن الأمان الاجتماعى أو الأمان الاقتصادى ؛ ولكنى أشك فيما إذا كنا ندرك حق الادراك ان أطفالنا فى حاجة الى مثل حاجتنا على الأقل من الأمان ، بل لعل ما يحتاجون اليه أعظم قدرا وأوسع

مدى . وأنى لا شك كذلك فيما اذا كنا ندرك ان طفلنا لا منـاص له من الاعتماد على سواه فى الحصول على ما يحتاج اليه من الأمان ، وانه لا يزال عاجزا عن تحقيقه لنفسه بنفسه . فى وسعنا نحن البالغين أن نحصل عليه أو نحاول الحصول عليه وعلى الأقل بأنفسنا . ولـكن طفلك ليس فى مقدوره ذلك .

امنحى طفلك محبتك وحنانك — يصدر جانب كبير من الشعور بالأمان من علمك بانك محبوبة . ومما يثير الدهشـة والعجب أن هناك والدين لا يحبون طفلهم ، وأنهم نتيجة لذلك لا يبذلون أى حنان نحوه .

وتبدأ عملية هذه المحبة والحنان قبل دخول الطفل إلى هذا العالم . ولـكى تحبيه يجب أن تكونى راغبة فيه . فاذا لم تـكونى راغبة فيـه حقا كان من أشق الأشياء أن تحمليـه على الاعتقاد بأنه مطلوب ومرغوب . وإذا اعتقد أنه ليس كذلك أو أن قدومه لم يكن مرغوبا فيه ، فقد بدأت تجعلينه طفلا غير آمن . . . . طفلا يقتله الجوع الشعورى .

بيـد أن معظم الوالدين يرغبون فى طفلهم من مبدأ الأمر لحسـن الحظ . وأكثر الوالدين فيما نعلم يرغبون فيه لأنهم يعلمون أنهم فى طفلهم ينتجون أنفسهم من جديد .

تقبلى طفلك مهما يكن فيه — قد تبدو هـذه العبارة لأول وهلة سخيفـة عديمة المعنى . فقـد تقولين فى نفسـك « انى مضطرة طبعا إلى تقبل طفلى » . ولـكنها برغم ذلك نقطة على أعظم جانب من الأهمية .

ان تقبل طفلك معناه تقبله بغض النظر عما إذا كان شعره أسود أم أحمر . معناه أن تتقبلى طفلك ذكرا كان أم أنثى ، وهنا مصدر كثير من الهم والاكتئاب للآباء إذ أن بعضهم فيما يظهر يظنون انه يجب أن يكون بكرهم غلاما غير راضين بالفتاة لغير سبب معقول .

وهو يعنى ، وهـذا أمر هام ، أن تتقبلى طفلك سواء كان سليم السمع أو لم يكن .

يجب أن تـكونى أنت شخصيا كاملة النمو الشعورى . وإذا تقبلت طفلك مهما كان حظه من المقـدرة على السمع فانت كاملة النمو الشعورى . ولـكنك لست كذلك إذا تعذر عليك قبول هذه الحقيقة .

كيف نستطيع نقل عواطفنـا ؟ — من الأمور المؤكدة لدينا أن الطفل الصغير يشد أو يحس بما يحوطه من المحبة والعطف حتى من قبل أن يستطيع الـكلام ، وحتى إذا لم يكن سمعه سليما . وانا لنعتقد بصحة ذلك لأننا نعلم أن صغار الأطفال يستجيبون للاشياء بالطريقة التى يحسون بها بهذه الأشياء ، ولأننا نعرف انهم يستجيبون فعلا للطريقة التى يعاملون بها . وقد لاحظنا اضطرابات فى سلوك الأطفال فى الحالات التى نعلم أنهم لا يحصلون فيها على ماينبغى لهم من الحب والحنان . ولـكن الطفل له لحسن الحظ ما أدعوه « فتنـة مستقلة » . فهو لايزيد على الاستلقاء فى مهده ويصير شيئا جميلا يسر الناظرين ، فلا يملك حتى أشد الآباء جمودا وجفاء إلا أن يلين بين الحين والحين ، فيعبث بذقنه مداعبا ، أو يضاحكه ، بل قد يتجاوز ذلك إلى تفـكهته باخراج أصوات مضحكة .

وانه لمن المهم بالنسبة إلى الطفل أن يلين له الناس ويحنوا عليه ، فإن هذا يشعر الطفل بالدعة والأمان . وتبدأ الأشياء فى الصعوبة والعسر عنـدما يدخل الطفل فى الطور الذى نسميه طفل ما قبل المدرسـة . إذ أنه عند ذلك يبدأ فى التدخل فى الأشياء ، ويبدأ فى الدخول فى نزاع مع من يحيطون به . وفى هـذه المرحلة بنوع خاص يجب أن تنقلى إلى الطفل حبك وحنانك وحسن تقبلك له . وعند ذلك يجب أن تمديه بالغـذاء الصحيح اللازم لنموه الجثمانى ، كما يجب أن تغذيه بالحب والرفق والحنان وبالتقبيل اللازم لنمو أمانة الشعورى .

أعرفي ما يستطيع طفلك عمله : ولكى تحبى وتتقبلى طفلك عليك أن تفهميه . ولكى تفهميه عليك أن تعرفى ما يستطيع عمله وما لا يستطيع .

ولكل أسرة ما ندعوه « أقيسة السلوك » ، وهى ما يمكنك أن تصفيها بأنها أحكام البيت . ولكن هذه الأقيسة أو الأحكام يجب أن تلتئم مع الأسرة بقدر ما يجب أن تلتئم الأسرة مع الأقيسة . وعلى ذلك فلابد لنا أن نعرف ما سوف يكون فى مقدور الطفل عمله وفهمه فى مراحل معينة من عمره قبل أن نحتم عليه تطبيق أى أقيسة على حياته ، وإلا فاننا نطلب من الطفل مع كفاياته المحدودة أن يفعل الأشياء على طريقتنا نحن الكبار فى فعلها ، وغنى عن البيان ان هذا يكون مطلبا صعبا وتكليفا يدخل فى نطاق المحال .

مثال ذلك أنه بالنسبة إلى إدراك الطفل للقيم لا يزيد ذلك الأصيص الثمين الموضوع لديك على المنضدة فى القيمة عن فنجان عادى من الصفيح . وإذا دنت منه يداه الصغيرتان ، فسوف يعاملة على الأرجح فى مثل مايعامل به فنجانا من الصفيح من العناية والحرص .

فما الذى يحدث ؟ انه إذا مس الأصيص فسوف تقولين له « كلا ! » انه يكبح عن غايته ويحال بينه وبينها ، وليس ثمة كبير يقين بأنه لن يمس الأصيص ثانية . فاذا أردت أن تحولى بينه وبين الشعور بالكبح فى فضوله الطبيعى من نحو الأصيص ، كان أسهل الأشياء أن ترفعى الاصيص عن المنضدة . ولعل يكون من المدهش حقا أن نعرف انه قلما يفكر الوالدون فى حل المشكلة على هذا النحو السهل اليسير .

أذكرى أن الاطفال فضوليون وانهم لا يملكون عدم التعبير عن هذا الفضول وإظهاره ، ويجب أن نتيح لهم متنفسا لهذا الفضول بأقل ما يمكن من الكبح ، بأقل ما يمكن من النهى ، إذا أردنا أن يتعلموا بأبعد الطرق أثرا وأشدها

مفعولا . وهذا فى الحقيقة هو أساس التعليم التدريجى كله ، وهو أن نجعل التعليم بالنسبة إلى الطفل لهوا وتسلية .

كيف يتهيأ لنا أن نصور أية الاقيسة السلوكية ، وأية القواعد المنزليـة يجب أن يطابقها الطفل فى حياته فى سن معينـة ؟ ألا أنه ليجب علينا أن نعرف شيئا عن كيفية نمو الجهاز العصبى فى الانسان ، وكيف يوجه المخ سيل الرسـائل العصبية فى الجسم كله كلما كبر الطفل .

أكبر الظن انك تعرفين أن الوليد الصغير يكون فى أول عهده بالحياة كتلة من الحركة . فاذا وخزت طفلا حديث الولادة بدبوس قفز بجسمه كله .

وإذا وخزت بعد ذلك بسنة قدمه بدبوس لم يزد على سحب سـاقه . ومعنى هذا انه فى خلال تلك السنة قد نما جهازه العصبى إلى الدرجة التى يستطيع معها تمييز أى جزء من جسمه يجب أن يسحبه بعيـدا عن هذا الدبوس .

والعلم بأن الجهاز العصبى يجب أن ينمو خليق أيضا بأن يحملك على الاقلال من الضيق والتبرم أثناء فترة تدريبه على عملية الاخراج . فان الوليد الصغير ليست له عمليا أية رقابة أو سـيطرة على حركات أمعائه أو إفراز بوله . بيد أنه كلما نما فى الجسم والشعور صار أكثر احساسا بحركة الأمعاء وافراز البول ، ويميل تبعا لذلك إلى الاستزادة من المقدرة على السيطرة عليهما . ولـكن ليس لك أن تستحثيه وتدفعيه دفعا . وكثير من الأمهات يبـدأن فى تدريب أطفالهم على الاخراج والتبول وهم فى شهرهم السادس أو السابع ، ولـكنا نعرف انه من المحال على طفل فى تلك السن أن يملك من السيطرة على أعصابه مايكفى لـكى يسيطر على نفسه .

والآن قد تقولين معارضة « لقد درب طفلى فى الشهر السـادس » بيد أن ما تعنين حقا هو أن طفلك كان على شىء من انتظام حركة الأمعاء فى تلك السن انه لم يدرب بل قد دربك أنت ! كنت تعلمين الموعد الذى تتحرك فيه أمعاؤه

فتستعدين له . وهكذا كان التدريب فى الحقيقة فى الاتجاه المضاد !

ومعظم الأطفال فى الحقيقة لا يتمكنون من السيطرة على أمعائهم إلا فيما بين السنة والسنتين من العمر . وهم يختلفون فى ذلك ، فبعضهم يجوز هذه السيطرة قبل هذه الفترة بقليل ، و بعضهم بعدها بقليل . ولكن الخليق بالعلم هو أنهم سوف يمارسونها من تلقاء أنفسهم . وأهم من ذلك أنهم سوف يجدون سرورا ولذة فى التدريب على ذلك اذا ماشيتهم على قدر خطوهم الطبيعى و إذا لم تضيقى وتتبرمى لعدم سيرهم فى ذلك على جدول مرسوم وضعته لهم دون أن تحسبى فى وضعه حساب كفاياتهم وامكانياتهم .

الثناء خير من التوبيخ : اننا فى العادة لا نفرغ على أطفالنا الكفاية من المدح والثناء . والواقع أن الأطفال فى الغالب يفعلون من أجل الاطراء والعناية أكثر مما يفعلون من أجل أى شىء آخر . فابسمى له إذا ما فعل شيئا على وجهه الصحيح ، وربتى على ظهره واعبثى بشعره فى لين وحنان ، لا تظهرى له شيئا من الاستياء والامتعاض واظهرى السرور والسعادة ، فبذلك تظهرين له أنه أجاد عمل شىء وأنه جعلك سعيدة راضية وانك تحبينه . وعند ذلك سوف يجد لذة وتسلية فيما يعمل ولو كان عملا معقدا .

وللثناء شأن كبير فى عملية الطعام مثلا . ومن أكبر المشاكل التى نواجهها فى العناية بالطفل فى مصر مشكلة الطعام . بيد أننا نعلم يقينا أن جميع الأطفال يجدون مشقة كبيرة فى تعلم تناول طعامهم بأنفسهم .

ومعظم الأطفال يحاولون تناول طعامهم بأنفسهم عندما يبلغون حوالى السنة من عمرهم إذا خليت ما بينهم و بين ذلك . وحسبهم قليل من الارشاد وقليل من المعونة ، وأسارع إلى القول ، وقليل من الأطعمة المتنوعة حول المقعد المرتفع الذى يجلس عليه الطفل ، حتى يقوموا بأداء عمل رائع حسن . وكل ما فى الأمر أن مشكلة الطعام التى يكثر عنها الحديث ليست فى الحقيقة سوى نتيجة القلق

الذى لا مبرر له والذى يساور الأم من ناحية ما إذا كان طفلها ينال كفايته من الطعام أم لا ، وما يتلو ذلك من محاولتها ارغام طفلها على الأكل . وهيهات أن يجوع الطفل ما دام الطعام ميسورا فى متنـاول يده ، فلا موجب إذن للقلق والانزعاج .

أجل أنه لتعرض لهم بطبيعة الحال فترات لا يشعرون خلالها بميل الى الاكثار من الطعام ، ولـكن علينا أن نصابرهم ونفسح لهم فى الوقت ، وانهم ليعودون دائما إلى التقاط واختيار وجبة حسنة عامة إذا تركتهم يلتقطون ويختارون ويطعمون أنفسهم بأنفسهم .

ومنذ بضع سنين قامت الدكتورة عزيزه سامى الطبيبه الاخصائية بمستشفى سامى للأطفال باجراء تجارب على أعظم جانب من الاهمية فى هذا الموضوع . فقد جربوا بالمستشفى ادخال عربات طعام تسير على عجلات الى العنبر واخبار الاطفال بلون الطعام الذى تحمله العربة . وكان يوضح لهم بجلاء أنهم يستطيعون الحصول على ما يشاءون قل أم كثر من أى صنف يريدونه ، وراح المستشفى يسجل لبضع سنين ما يقع عليه اختيار الاطفال .

وهذه هى النتيجة الحرية بالنظر والاهتمام : كان الأطفال جميعا يختارون وجبة عامة جيدة ، وكان اختيارهم بمطلق رغبتهم دون أى تدخل أو تأثير . وكان يقع أحيانا شغف عارض بهذا اللون من الطعام أو ذاك كذلك الطفل الذى ظل نحو أسبوع لا يأكل شيئا سوى الموز ، ولكن مثل هذا الشغف لا يلبث أن يتلاشى سريعا . ولم يلحق ذلك بالأطفال أى أذى ، ولا ريب انه لم يلحق أى أذى كذلك بأحد غيرهم .

لمـاذا تزداد النزوات ؟ : لو أننا رسمنا خطا بيانيا للنزوات التى يأتيها الطفل على النحو الذي يضع به الاقتصـاديون الخطوط البيانية لحركات الأعمال مثلا

لوجدنا أن « الحناءة التنزى » تصل إلى ذروتها فى سن السنتين والنصف . وهذه هى السن التى يبلغ فيها الوالدان والطفل أشد جزء من الكفاح المستعمر بينهما .

والسبب فى ذلك بسيط واضح ، هو أن الطفل يكون إذ ذاك يمارس فضوله وتطلعه ، ويبدأ فى الطواف بأرجاء البيت ، ويزداد تدخلا فى الأشياء . انه يبدأ فى النمو على نحو ملحوظ . على أنه فى الوقت نفسه لا يكون قد نما إلى الدرجة التى يكون فيها حاسما فيما يأتى وما يدع ، والتى يعرف منها ما يريد حقا أن يفعل . ولسوف تلاحظ انه لا يستطيع عقد عزمه على شىء من الأشياء ، تلك الأشياء التى تبدو لنا صغيرة تافهة ، ولكنها بالنسبة إليه عظيمة جليلة القدر .

فانك تسألينه مثلا هل يحب الخروج من البيت فيجيبك « نعم ... أريد أن أخرج » وهكذا تلبسينه للخروج . فماذا يفعل عند ذلك ؟ انه ليقول « لا أريد الخروج » وهنا تكادين تقطعين شعرك غيظا وحنقا مهما يكن مقدار ما أخذت به نفسك من المران على مجاراته والصبر على نزواته .

ولقد شرح ذلك أبلغ الشرح الدكتور مختار سامى ، وهو من أكبر الثقاة فى نمو الطفل وسلوكه ، إذ يقول انه لابد لك أن تكون من « الحواة » لكى تعامل طفلا فى تلك السن .

وان خير ماتفعلين أن تجاريه وتتمشى معه ، فتتقدمى حين يتقدم ، وتتأخرى حين يتأخر . ولابد أن يثوب عاجلا أو آجلا إلى زيادة التعاون والتقدير . ولقد ذكرت فيما مر بك انه من الخير كثيرا رفع ذلك الأصيص الثمين الذى يحب الطفل الصغير أن يمسه بيديه الصغيرتين ، من أن يترك على المنضدة ويقال له باستمرار « لا ! » . وبعبارة أخرى افعلى كل ما بوسعك لتحويل انتباهه . وقد يتطلب ذلك منك كثيرا من اللباقة وحسن الاحتيال ، ولكن تحويل الانتباه أجدى بكثير من كثير من النزوات .

دعى طفلك فى طريقه : يجب أن ندع طفلنا يتبع نهج تقدمه الخاص بطريقة عامة واسعة النطاق . وليس معنى ذلك أن نفسده بالتدليل ، أو نتركه يفرض مشيئته ، بل معنى ذلك أن نتركه يوالى السير فى طريقه الخاص بقدر ما يتصل ذلك بنمو مواهبه .

ويشعر بعض أخصائيي الأطفال ان كل طفل يستطيع أن يجيد وسوف يجيد شيئا من الأشياء . وفى مقدورنا نحن إلى أبعد حد أن نتبين ما سوف يجيده طفلنا . فاذا ما اهتدينا إلى ذلك ، أو فى خلال بحثنا عنه ، يجب علينا أن نتيح لطفلنا فرصة إظهار القوة أو المقدرة الدفينة التى يظهر عليه أنه سيجيدها .

وهنا يغلب أن يعترض الوالدون حياة الطفل ويأخذوا عليه السبيل وقد شقت من أجله شتا ، فيقرروا أنه يجب أن يكون معلما ، أولعله يجب أن يكون من رجال الأعمال الاثرياء . بيد أن الطفل يجب أن يكون له رأى فيما سوف تتطور إليه حياته ، وسوف يظهرنا بين الفينة والفينة على آثار تبين لنا فى كثير من الجلاء والوضوح نوع العمل الذى سوف يحسنه أكثر من سواه .

فلن يكون من الحصافة فى شىء أن يصر أحد الوالدين مثلا أن يمارس طفله عملا من أعمال الفن أو الرسم ، وهى مهنة تقتضى التمييز القائم على دقة الحساسية بين مختلف الألوان ، إذا اتفق أن كان ذلك الطفل مصابا بعمى الألوان . أو لن يكون من الحصافة فى شىء أن يتوقع والد ولد طفله مشوه القدم أن يصبح طفله من نجوم الركض وأن يفوز فى الركض ١٠٠ ياردة فى ١٠ ثوان أو أقل . وهذان مثلان بارزان مبالغ فيهما ، ولكن ما فيهما من الدلالة يصح على جميع تلك الحالات . ان بعض الأطفال يحسنون أشياء أكثر مما يحسنها فريق آخر من الأطفال ، ولكن الأطفال جميعا يحسنون عملا ما على السواء .

دعيهم يظهروا لك الآثار ولا تظهريها لهم أنت . وإذا احتجت إلى مساعدة فى هذا السبيل فها هى العيادة المصرية لتحسين السمع مفتوحة للطالبين ، وهى على

استعداد لمدك بالمشورة والارشاد . وعنوانها موضح بهذا الكتاب .

اسندي إلى طفلك بعض المسئوليات : هنا عامل في النمو والتقدم الشعوري لطفلك ، وهو عامل هام بالنسبة إلى جميع الأطفال على السواء ولكنه ذو أهمية خاصة بالنسبة إلى الطفل الأصم . دعي طفلك يضطلع ببعض المسئوليات ، وهي مسئوليات يجب أن يكون تحملها بطبيعة الحال مما يقوى عليه بمراعاة عمره .

وبعض هذه المسئولية الخاصة يترك الطفل يضطلع بنوع ما من المسئوليات شديدة الصلة بأمن الطفل وسلامته . وبعبارة أخرى ، إذا كان في مقدوره أن يتولى شأنا من شئونه بنفسه فلن يكون شديد الاعتماد عليك ، وسيكون في وسعه نتيجة لذلك أن يخرج سليما معافى من بعض المآزق دون مساعدتك . ولكن النظرية الكامنة وراء اسناد بعض المسئوليات إلى طفلك هي بوجه عام انه سوف يضطر عاجلا أو آجلا إلى تحمل بعض المسئوليات ، وخير تدريب يمكن أن يحصل عليه للاضطلاع بالمسئولية هو ممارستها .

ولقد تحدثنا آنفا عن ترك الطفل يطعم نفسه عندما يبلغ سنة من العمر ، وهذا معناه تعليمه الاضطلاع بالمسئولية . فاذا ما صار بعد ذلك أهلا للقيام بذلك وقادرا عليه ، وجب أن تدعيه يرتدي ثيابه بنفسه . ولا ريب انه قد يكون أسهل عليك أنت أن تلبسيه بنفسك ، إذ أنه سوف يتلكأ في ذلك ، ويضع فردة الحذاء في القدم الأخرى ، ويلبس بنطلونه مقلوبا ، وقميصه معكوسا وهكذا ولكننا جميعا ، وهو ما ينطبق على الأطفال أيضا ، نتعلم من أخطائنا .

بل ويجب كذلك فيما بعد أن يسمح لطفلك بعبور الشارع ، ولكن ذلك لا يكون قبل أن يبلغ السن الملائمة بطبيعة الحال ، فان الأمان والسلامة مقدمان على كل اعتبار . وانك لتسألين « متى أدعه يعبر الشارع ؟ » حسنا ، أن هذا يتوقف على الطفل ، كما يتوقف على درجة خطورة المرور بشوارع مدينتك ،

وينبغى أن تكونى أنت الحكم فى ذلك . ولكن الطفل ينبغى أن يبدأ فى تحمل بعض هذه المسئوليات فى وقت من الأوقات ، والأكبر وترعرع فى أكناف حماية مسرفة فلا يقوى نتيجة لذلك على معالجة حوادث الحياة اليومية .

وإليك ما يعرض للطفل الذى لا يسمح له بالاضطلاع ببعض المسئوليات . انه يغدو بالغا تعيسا شقيا يعييه أحيانا حتى مجرد المحافظة على ائتلاف أسرته وتسيير شئونها ، وتبهظه أصغر المشاكل وتثقل كاهله ويبدو له حلها من المستحيلات . وقد وجد أطباء الجيش خلال الحرب العالمية الثانية انهم مضطرون إلى إجراء كثير من العلاج النفسانى فى هذه الناحية ، لا لشىء إلا لأن عددا عظيما جدا من الشبان والشابات لم يستطيعوا المضى فى الاضطلاع بخدماتهم لأنهم كانوا موضع الحماية المسرفة المبالغ فيها من جانب أمهاتهم وآبائهم وعائلاتهم ، فما كادوا يلفوا أنفسهم خارج نطاق هذه الحماية العائلية حتى ضلوا السبيل وتقسمتهم الحيرة والإرتباك ، وعجزوا حتى عن القيام بأيسر الأشياء لأنفسهم ، وعن المساهمة بقسط فعال فى مجهود الحرب .

دعى طفلك يشعر انه جزء من المجتمع — ان مسألة ترك طفلك يضطلع بالمسئولية تفضى بنا إلى نصيحة أكبر وأوسع نطاقا ، وهى أن تجعلى طفلك يشعر ان له دورا ايجابيا حيويا ينبغى أن يؤديه فى المجتمع . ويجب أن تجعليه يشعر أولا أنه شىء له قدرة وقيمته فى الأسرة بواسطة اضطلاعه بالمسئولية التى مر بك الحديث عنها . وبعد ذلك يجب أن يشعر كذلك انه شىء له قدرة وقيمته فى بيئتك ، ثم فى الشعب ، وفى العالم . ان كل شخص من الأحياء (وقد يستثنى ذوو العقول الضعيفة الميؤوس منهم) يمنح المجتمع شيئا ويأخذ شيئا من المجتمع ، وليس يهم على الاطلاق أن يكون ذلك الشخص به عجز فى ناحية ما . فاذا منحنا نحن الوالدين أولئك الاشخاص أطفالنا وفلذات أكبادنا أساسا بسيكولوجيا

صالحا للحياة ، كبر أولئك الاشخاص إلى أن يصيروا منافع ايجابية للمجتمع ، ويصير المجتمع منفعة لهم .

ويجب بصفتنا والدين أن نؤمن بحقيقة هذه الفلسفة وصدقها . فاننا إذا آمنا بها شاهد أطفالنا هذا الايمان وآمنوا بها هم أيضا ، وعند ذلك يطبقونها على حياتهم .

وإليك كيفية تأثيرها عمليا . إذ آمنا نحن بأن لأطفالنا قيمة حقا فى المجتمع فاننا نشعر شعورا تلقائيا بأن المجتمع مدين لهم بشىء من المسئولية . وهكذا نعمل على أن تقدم لهم مدينتنا والدولة مدارس صالحة ، ونكافح على أحسن وجه تستطيعه فى تحسين ما يحيط بنا وفى سبيل كل ما من شأنه أن يمهد أمام طفلنا طريق الحياة عندما يكبر ويبلغ أشده . ولن يغفل طفلك عن إدراك انك تعملين ذلك ، وسوف يتجه نحو اقتفاء أثرك .

وان من المقاييس الصادقة حقا لحضارتنا لهو مقدار ما تبذل فى سبيل تقدم أطفالنا الذين ابتلتهم الطبيعة بعاهة من العاهات أو ناحية من نواحى العجز والقصور .

كلمة ختامية

هذا هو ما عنيناه وقصدنا إليه بقولنا « غذاء المشاعر » . وانك لترى اننا لانملك تحديد ذلك وتعريفه فى مثل الدقة التى حددنا بها عناصر التغذية اللازمة لنمو الجسم . ولكن هذا الاحتياط لنمو طفلك وتقدمه الشعورى كفيل بأن يخرج منه بالغا مستكمل النمو لافى جسمه فحسب ، بل وفى عقله ومشاعره أيضا . انه خليق بأن يحول طفلك بالغا يستطيع رعاية نفسه وحسن القيام على شئونها فى هذا المجتمع . وانا لنقول عمليا أن شفاء المرض العقلى أطول مدة وأكثر نفقة بكثير من شفاء المرض الجسدي ، ويجب أن تتجه جهودنا إلى الوقاية منهما جميعا . وعند ذلك نكون قد فعلنا كل ما يصل إليه وسعنا لمساعدة طفلنا كى ينمو فى جسمه ، وفى عقله ، وفى شعوره .

ماذا ينتظر فى مختلف الاعمار

يجنح بعض الوالدين أحيانا إلى المبالغة فى اكبار معلمات مدارس الحضانة ورفعهن إلى مصاف أصحاب المعجزات والخوارق ويتساءلون فى عجب كيف يتاح لهن الإتيان بما يبدو من المعجزات ، ولاسيما حين يزور بعضهم الحضانة فيرون الأطفال يركضون ويلهون فى كل مكان ، والمعلمات جالسات فى دعة واسترخاء كأنهن « لا يعملن شيئا » .

وأحب أن أبدد بعض ما يقوم بنفسك من الخيالات والأوهام عن معلمة مدرسة الحضانة . إن لكل مهنة حيلها وألاعيبها ، ولا تختلف مهنتنا من هذه الناحية عن سواها . وسأظهرك فيما بعد على بعض هذه الحيل والألاعيب كى يكون فى مقدورك أن تجربها .

ولكنا إذا أردنا أن نعامل هذه الأغصان اللينة الرطبة فى حكمة وسداد ، فهنالك أمور لا بد لنا من الالمام بها ومعرفتها قبل كل شيء . إن الطفل لا يزال ينمو طوال الفترة ما بين مولده وأوائل العقد الثالث من العمر ، ففكرى فى تلك الساعات التى يخططها العـــد والتى يمضيها الأب أو الأم فى دراسة طفله فى صبر وتفان . فكرى فى مقدار ما يتكلفه ذلك الوالد من مال لتربية ولده منذ طفولته حتى نضوجه . بل فكرى فى مقدار ما يبذل من صبر وحب فى تنشئة ذلك الطفل حتى يبلغ أشده .

وأهم سنى فترة النمو هذه هى السنون الخمس الأول . والسنتان الأوليان منها هما اللتان تصوغان معظم السنين التى تليهما . وقد كان الأستاذ هنكارى ، وهو

من مشاهير رجال التعليم بمنطقة الاسكندرية يخطب ذات مرة فى اجتماع للأمهات . وبعد أن فرغ من حديثه جاءته إحدى الأمهات وسألته « متى أبدأ فى تعليم طفلى ؟ » فأجابها « عندما يولد طفلك ياسيدتى » قالت له وقد ضاقت بجوابه ضيقا شديدا « انه الآن فى الخامسة من عمره فعلا » فنظر إليها مليا ثم قال « لماذا أنت واقفة هنا تحدثيننى ؟ اسرعى إلى بيتك . لقد أضعت فعلا أفضل خمس سنين من وقتك » .

وقد وصف لنا الدكتور احمد سامى فى الفصل السابق كيف ينمو الأطفال ونحن نعلم أنه يجب علينا بوجه عام أن نعمل على أن نعودهم أفضل ما نستطيع من العادات الصحية . فنحن نريد أن يكون أطفالنا أقوياء أصحاء ، ونحن نريد أن يكونوا حسنى الهيئة جذابى المنظر ، ثم أننا نود أن نجعلهم قادرين على لقاء سواهم من الناس فى كثير من الهدوء والاتزان . نريدهم على أن ينتفعوا باستقلالهم إلى أقصى حد ، وأن يحتفظوا بمجموعة من صالح العادات ، ويسيروا على جدول منتظم للنظافة ، ويتخلقوا بخلق كريم سليم . نريد لهم من كل شىء أحسنه وأفضله .

نريد من طفلنا أن يغدو متزنا ثابتا لا تعصف به كل ريح تهب . نريد منه أن يقهر بعض الصعاب التى لم يكن لنا أنت وأنا مناص من مواجهتها .

حقائق عامة عن مشاكل الأطفال وسلوكهم : هاك بعض الحقائق عن الأطفال من وجهة نظر إحدى معلمات مدارس الحضانة . وقد بحث الدكتور احمد سامى بعضها فعلا ، ولكنها من الأهمية بحيث لا نرى بأسا فى تكرارها .

يعرض للطفل إبان نموه كثير من التدهور : قد نكون وضعنا خير الخطط المدروسة وأجملها لتنشئة طفلنا ، ثم تقع أحداث وتغييرات فنضطر إلى تغيير خططنا وغالبا ما يبدو لنا أننا مهما رسمنا من خطط واتخذنا من تدابير ، فان شيئا ما لا بد

أن يغير ويبدل منها . على أنه ينبغى أن نذكر أن الطفل فى طور النمو يكون شديد الليونة والمرونة ، وأنه عرضة لكثير من التدهور والرجعة ، وأن كثيرا من الأمور يمكن أن يقع ، ولكن فى وسعنا مع ذلك أن نكون على ثقة من أنه سيخرج من كل ذلك سليما حسنا . وأن هذا لأمر حسن أن تعرفيه حتى تكونى مطمئنة هادئة البال .

جنوح الوالدين إلى الافراط فى حماية أطفالهم : إننا لندلل ونحب أطفالنا فى بعض الأحيان إلى درجة أننا لا نفسح أمام تلك الشخصية الصغيرة أية فرصة للتقدم والنمو . أجل أننا نعطف عليه أشد العطف ونفرغ عليه أصدق الحب ، ولكننا أحيانا لا نمنحه ألزم الأشياء له لكى يبلغ النضوج الشعورى ولا نبث فيه الشعور بالمسئولية . وأنه لخير له ألف مرة أن يتعلم النهوض بالمسئولية فى بيته ، من أن يضطر إلى تعلم ذلك بطريقة الحياة الخارجية الشاقة القاسية .

نواحى النمو الجسمانى والعقلى والاجتماعى والشعورى لا تسير دائما جنبا إلى جنب : قد نلتقى فى بعض الأحيان طفلا على أقصى درجة من الفطنة والذكاء ولكنه لم يتعلم كيف يتمشى مع غيره من الغلمان والفتيات . وقد كان بمدرسة الحضانه مثلا طفل صغير فى الرابعة من عمره وافر الذكاء . ولو أنك طلبت إليه لرسم خريطة للقطر المصرى يضع بها أسماء المديريات والمحافظات ، ثم يكتب أسماء عواصم الأقاليم المختلفة وأسماء الترع الرئيسية . ولكنه عندما كان يخرج إلى ساحة اللعب بمدرسة الحضانة . فأين كنا نجده ؟ هناك بطرف الساحة ، عاجزا عن الإندماج مع غيره من الأطفال ، وهو يرمقهم فى خشية واشفاق .

الأطفال ينمون بسرعة خاصة خلال فترتين من حياتهن : ينمو الأطفال بسرعة خاصة منذ بواكير طفولتهم حتى الثانية من العمر . ثم يبطئون فى النمو قليلا حتى يبلغوا الفترة من ١٢ إلى ١٤ سنة .

درجات النمو والتقـدم التى تقرأينها بالـكتب لا تصـدق دائما : توجد درجات وخرائط متعددة ترينها فى كتب الأطفال ، وهى تقول أن الطفل يجب أن يمشى عندما يستتم الخمسـة عشر شهرا . وعلينا أن نذكر أن هذه الدرجات والخرائط هى على اعتبار المتوسط . أجل أن كثيرا من الأطفال يمشون فى الشهر الخامس عشر ، ولـكن إذا اتفق أن مشى طفلك فى شهره التاسـع عشر بل حق فى شهره العشرين ، فليس ثمة ما يدعوك إلى القلق والإنزعاج على الاطلاق . انه لا يزال برغم ذلك يتقدم كما ينبغى ، ولا يزال فى حال طبيعية تماما ، وكل ما فى الأمر أن بعض الأطفال يبطئون فى النمو والتقـدم ، و بعضهم يسرعون فى ذلك . فاذا أدركت هذه الحقيقـة أعانتك كثيرا ولم تعودى تتوقعين من طفلك أن يتعلم شيئا قبل أن يصير مستعدا له .

ماذا يفعل الأطفـال فى مختلف الأعمار : الوليـد . نحن نعرف جميعا كيف يكون الطفل عند ولادته ، انه ملك البيت بأسره . إنه يأكل عندما يشاء ، وهو مستبد صغير لاراد لمشيئته ولا ضابط لها . فاذا لم تذعنى لرغائبـه ، كان له من رئتيه القويتين ما يشعرك بسخطه وغضبه . ولـكن فى وسعك أن تطمئنى إذا كان هادئا راضيا معظم الوقت إلى أنه طفل معافى صحيح الجسم ، ولن تـكونى فى حاجة إلى القلق والاهتمام . والسنة الأولى من حياة الطفل هامة جدا ، وعيـد ميلاده الأول حادث عظيم فى جميع العائلات تقريبا . وحوالى ذلك الوقت يتعلم المشى ، و يبدأ يتدخل فى كثير من الأشياء . فقد رأيت ذات مرة صورة لطفل فى نحو هذه السن ، وكانت صورة جميلة له وقد دخل إلى المطبخ وجذب صفيحة الدقيق . والتقطت الصورة وهو يغطى نفسـه وشعره و يديه والأرض بالدقيق .

وقد يحاول عندما يبلغ عامه الأول إطعام نفسه أيضا ، فاذا ما افتقد مقعده المرتفع كان عرضة لقلب اللبن ، وسوف يأتى فوق ذلك بالقاء الطبق على الأرض

وهذه أوقات مرهقة للوالدين ، ولكن فيها للطفل كثيرا من أسباب المتعة والمرح وهو لا يأتى ما يأتى من العبث والفساد عن قصد وتعمد ، فالابن يأخذ عليه الطريق وكذلك الطبق ، ولم تهتد عضلاته وأعصابه بعد إلى طريق يجنبه الاصطدام بهما واسقاطهما على الارض .

وهو يغدو مقلدا عظيما فى عامه الاول ، فهو يتبعنا أينما ذهبنا ويتعلم بتقليدنا ومحاكاتنا . وإذا أعطيت طفلة صغيرة مضربا للبيض ، ألفيتها تفعل كما تفعل أمها به تماما .

وفى السنة الاولى قد يتكون محصوله من مفردات اللغة من نحو ثلاث كلمات ، وقد لا يكون قد بدأ فى الكلام على الإطلاق ، أو قد يكون قد وعى معانى عشرين كلمة وراح يحاول استعمالها فى رطانة الاطفال .

ابن السنتين : إذا ما بلغ طفلك العامين من عمره ، ألفيت أن كثيرا جدا من الاشياء الصغيرة المختلفة تحدث . وهذه نتيجة مرحلة على أعظم قدر من الاهمية فى نمو الطفل ، وهى الفترة الواقعة بين الشهرين الثالث عشر والعشرين . وفى هذه الفترة يأتى هذا المخلوق الصغير جميع ضروب العبث ، ولكنه فى غمار هذا العبث يتعلم كثيرا من الأشياء . إن هذه السن هى سن الكشف والاستطلاع .

وانا لنطلب المحال إذا توقعنا من طفل فى عامه الثانى أن يكون مطيعا سلس القياد ، فالواقع اننا إذا استدعيناه كان أميل إلى الركض فى اتجاه آخر منه إلى المجىء إلينا . انه ليحسب أن فى مطاردتنا له لهو وتسلية ، وما يعنيه فى الحقيقة أن يركض فى اتجاه بعينه . انه ليس بالعاصى المتمرد ، بل كل ما فى الأمر انه لا يزال غير ملم بكل ما يختص بالطاعه والانقياد .

وليس لنا كذلك أن نطلب منه فى عامه الثانى أن يكون أنيقا يلتزم أدق قواعد النظافة كالنظافة فى الأكل مثلا . فليس يعنيك كثيرا إذا كنت فى الثانية من العمر أكانت تصرفاتك ضربا من الفوضى والعبث أم لم تكن .

وابن العامين فى الوقت نفسه على درجة كبيرة من الحذق والمهارة ، إذ لم يعد ذلك الوليد الحديث العهد بالحياة . فهو يبدأ يدرك ان من وراء أعمالنا فى أغلب الأوقات أسبابا و بواعث، وهو يبدأ فى تأمل تعبيرات وجوهنا وملاحظتها. ألم يتفق لك مثلا ملاحظة أن طفلك يعتريه القلق إذا حمله شخص مضطرب الأعصاب أو مهموم يعنيه أمر من الأمور ؟ ان طفلك ليحس ما بالشخص الآخر من اضطراب عصبى أو هم يضيق به وان كان فى الثانية من العمر .

وابن العامين لا يحب أن يلعب وحيدا ، فهو يهوى اللعب فى المطبخ مع أمه . وليس من الضرورى عنده أن يلعب باحدى اللعب المزخرفة الجميلة التى تباع بالمتاجر ، وآنية المطبخ وأوعيته تقوم لديه مقامها تماما ، ولعلها آثر عنده منها وأحب إليه .

وابن العامين لا يعرف بعد كيف يشارك غيره من الأطفال فى لعبه وأدوات عبثه ، وإذا حاولت أمه أن تعلمه الكرم والسخاء فأخذت اللعبة منه وأعطتها للطفل الآخر ، أثار عاصفة عنيفة وانطلق يصرخ : « أنها لعبتى ! انها لعبتى ! أريدها ! »

وكثير من ذوى السنتين يعمدون إلى الحيلة المرهقة المكروهة وهى شد الشعر والعض والتخديش . وهى حال طبيعية لا عوج فيها ولا التواء ، وليس فيها ما يدعو إلى قلقك وانزعاجك . وكل ما نحتاج إلى عمله هو التذرع بالصبر وسعة الصدر . وهم ينسون هذه الحيلة عادة عندما يبلغون عامهم الثالث أو الرابع على أية حال . وسأخبرك بعد قليل عندما أتحدث اليك عن بعض حيل معلمة مدرسة الحضانة وأساليبها كيف نعالج عادة مثل هذه الأشياء .

وصاحبة الحظوة عند ابن السنتين هى أمه ، فانها لا تزال تحبوه من حدبها وعنايتها .

ابن السنين الثلاث : ان ابن الثلاثة الأعوام أوفى نضوجا بقليل من ابن السنتين ، فهو أكبر جسما وأثقل وزنا ، وهو يستطيع المشى والركض . ويوجد فيه شىء يفرغ عليه جاذبية خاصة ، ويجعل من السهل معاملته . فهو يبذل جهدا كبيرا فى محاولة استجلاب رضانا ، ولا سيما أمه ومعلمته .

وطفل جماعة أوائل السنة الثالثة يحاول أن يفعل كل ما نتطلبه منه . وهو فى مدرسة الحضانة على الأقل يصبح شخصا حقيقيا .

والشىء الوحيد فيه فى هذه السن الذى قد يسبب لك قلقا وانزعاجا هو شهيته إلى الطعام . فقد تعودت أن تريه يأكل صحافا كبيرة من الحبوب وغيرها . وها هو ذا الآن فى عامه الثالث لا تكاد تظهر عليه أى علامة من علامات الجوع إلى الطعام ، فماذا حدث ؟ إن الأمر لا يتجاوز فى الحقيقة انه لم يعد فى حاجة إلى الكثير من الطعام كما كان قبل ذلك إذ تجاوز فترة النمو السريع .

وما الذى ينبغى أن نفعله حيال ابتدائه فى تخفيض طعامه ؟ ان كل ما فى وسعنا عمله هو أن نضع أمامه وجبة طبيعية جيدة ، وأن نجعلها جذابة مغرية بقدر ما نستطيع وننتظر حتى يأكلها . وانى لأعرف ان هذه الفترة كانت عسيرة شاقة بالنسبة إلىّ ، فلقد كنت أريد أن يكون ولدى نموذجا فى قوة الشهية والاقبال على الأكل ، ولكنه كان يبدو زاهدا فى الطعام لا يكاد يحس جوعا . ولعله يزيل من قلقك ووساوسك أن تعلمى أنه الآن فى السابعة والنصف ، وإنى بدأت أجد كثيرا من العناء فى العثور على ما يكفيه من الطعام !

وقد يقبل طفلك ابن الثالثة على الطعام ذات صباح ويتناول افطارا حسنا ، ثم يأكل فى الصباح التالى قدرا ضئيلا ، وقد يعود فى اليوم الثالث فيتناول كثيرا من الطعام . وكل ما يسعك أن تفعلى هو أن تجلسى بازائه تلاحظين ما يحدث . أما إذا ساورك القلق والانزعاج وظهرت عليك بوادره فقد تلحقين بطفلك كثيرا من السوء والأذى ، وتسببين دوام عادات سوء الأكل المؤقتة واستمرارها .

وثمة شيء آخر فى أطفال العام الثالث من شأنه أن يزعج الوالدين ويشغلهم وأنه فى الحق لمشكلة من المشاكل . ذلك ان الأطفال قد يكونون من جوالة الليل الذين لا يقرون ولا يهجعون . وفضلا عما فى ذلك من خطر عليهم ، فانه مشكلة لأنه قد يقلق نوم بقية الأسرة ويقض مضاجعهم . وقد أخبرنا أحد الآباء الشبان انه اضطر الى رد طفله إلى فراشه ست عشرة مرة ذات مساء ، وإلى أخذه إلى التواليت واحضار الماء له كى يشرب وما إلى ذلك . وقد كان يعانى ارتباكا من جراء ذلك وله العذر ، وكان يتساءل عما ينبغى أن يفعل . وأسوأ ما فى الأمر أننا لم نستطع أن ننصح له بأكثر من المضى فى رد جمال إلى فراشه المرة بعد المرة . فاذا كنت تعانين من طفلك مثل ذلك ، فاستمرى فى إعادته إلى فراشه ، وافعلى ذلك فى كل مرة بحيث يفهم بجلاء ووضوح « انى أتوقع منك البقاء هذه المرة » ولن يجدى قليلا أو كثيرا أن تضعى الطفل فى فراشه وتعاقبيه ، فان ذلك لن يكون له من أثر سوى أن تشقى به ويشقى طفلك ، وأن يتصل الذهاب إلى الفراش بأمر يسوده ويثير فى نفسه النفور .

وهناك كذلك الغلام الصغير الذى يستيقظ فى الخامسة صباحا زاعما أنه سيعد طعام الأفطار للأسرة . فهو يشعل الموقد الكهربائى ويضع عليه إناء اللبن بعد أن يضيف اليه بدل السكر ملحا . وليته يكتفى بذلك ، بل أنه ليلقى فيه كمية كبيرة من الفلفل ثم يزيد الاناء إلى حافته ماء . وها هى أمه تضيق بعبثه ذرعا وتنحى عليه بالتأنيب والتعنيف .

ومهما يكن فى تلك المواقف من أسباب الضحك والفكاهة ، فانها خليقة ألا تروق الأم المسكينة وتضحكها كثيرا . على أنها لو مدت بصرها الى ما وراء هذه الأعمال وأدركت أن بواعثه كانت من أحسن البواعث وأجزلها نفعا ، لدفعت عنها نزوة الغضب بلا ريب مهما أتلف وأفسد .

ولا يزال ابن العام الثالث يلقى حوادث ليلية ، وقد يستمر فى ذلك حتى يبلغ

الرابعة أو بعدها . كذلك يستطيع ابن الثالثة أن يلعب وحيـدا لنحو عشرين أو ثلاثين دقيقة ، ولـكنه يحتاج بعد ذلك إلى من يلاحظه .

وان أبناء الثالثة فى الحقيقة هم موضع ملاحظتنا الدقيقة بمدرسـة الحضـانة . فهم الذين يأنسون من أنفسهم الرغبـة فى اختبار كل شيء ، وهم يتعلمون اللعب مع غيرهم من الأطفـال ، والخروج من الخير الذى ألفوه وزيادة ما يعرفونه عن العالم الخارجى . وينبغى أن تتيحى للطفل فرصة التعلم . فهو فى حاجة مثلا إلى أن تطوفى به وتريه مختلف الأشـياء ، فخذيه إلى أقرب مطـافىء وأجلسيه على آلة إطفاء الحريق ، وقد كان أكثر من لقيت من رجال المطافىء يسرون باسـتقبال الأطفال . دعيه يسوق عربة اللبن عندما تأتى فان ذلك يرون له كثيرا وأكثر بائعى اللبن يرغبون فى معاونتك كذلك . والمهم فى السماح له بعمل هذه الأشياء هو ملاحظته بعد ذلك . وفى وسـعك أن تلاحظيه وهو عاكف على ضرب من ضروب اللعب تفتق عنه خياله بعد إحدى تلك المغامرات ، وسيمضى فى لعبته المبتـكرة هذه الساعات تلو الساعات ، بل لعله يمضى فيها أياما وأسابيع .

ابن العام الرابع : لقد اسـتتم عامه الرابع ، وسرعان ما يغدو أشـد ضجة وضوضاء ، وأكثر حركة ونشاطا . فهو يعدو على السلم صاعدا هابطا ، ويدخل الطين إلى بيتنا النظيف الأنيق . ان هـذه هى السن التى يكون فيها فى ذروة نشاطه وقوته وخياله ، وهى ذروة لا يحدها غير السماء .

وأبناء الرابعة قصـاصون بارعون ، وقد تغرق قصصهم فى الخيـال أحيانا حتى لتحارى فيما تصدقين منها وما تدعين ، ولـكنك لن تجـدى مناصا من الاعتراف بأن قصصهم طلية شائقة . ولهذا تجدين السبيل إلى الصبر على تجافى الطفل عن الحقائق إذا قلت فى أكثر ما تستطيعين من الهدوء « لقد كانت هذه قصة ظريفة فزدنى عنها تفصيلا » . شجعى خياله ، ولـكن دعيه يعرف فى الوقت نفسه انك تعلمين أن القصة كلها محض فكاهة وخيال .

وقد تكون قصصه مبعثا للحيرة والارتباك فى بعض الأحيان إذا لم تكونى ممن يتذوقون الفكاهة والمرح ، إذ أن هذه هى السن التى يروى فيها الطفل لأمه كل ما يحدث بمدرسة الحضانة أو ببيت الجار ، رواية غير دقيقة فى العادة . ونحن نشجعهم على رواية تلك الوقائع ، ونعلم أنهم يرون لذاتهم وأقرانهم كل ما نفعل بطريقة يرجح ألا تكون مرضية لنا كثيرا . على أننا لا نهتم لذلك كثيرا إذ أننا نسمع عادة عن كل ما يحدث فى البيت . ان الشعور بالفكاهة من أشد الأشياء لزوما لنا جميعا .

ابن الخامسة : فى الخامسة من العمر يتعلم طفلنا الرفق والحنان والسخاء ، ويتشوق إلى اللعب مع غيره من الأطفال ومع والديه . وهو يبدأ يستطيب الحياة ويستمتع بها ، كما يستمتع بصلاته خارج البيت .

انه يريد الذهاب إلى المدرسة . يريد الخروج ومشـــاهدة العالم . وهو فخور بكل ما يملك ويحبه بأجمعه . وانه فى أعماله لأقرب إلى الكبار الناضجين منه إلى أطفال العام الرابع . وهو يبدأ فى الحرص والحذر وتبين مواضع قفزه خوفا من أن يصطدم بشىء ، وهو يعرف المدى الذى يستطيع أن يذهب إليه .

وليس من المعقول أن نتوقع منه تعلم الكتابة أو القراءة ، ولكن ينبغى أن يبدى نحو ذلك شيئا من التطلع والفضول . وتبدأ الآن حاجته إلى الإرشاد والتوجيه أكثر منه إلى النظام . انه فى حاجة إلى اليد التى تسنده وتعضده ، لا إلى تلك التى تمتد إليه بالضرب والعقاب . وقد قلت فى أول هذا الحديث انى سأكشف القناع عن بعض ألاعيب معلمة مدرسة الحضانة وحيلها . ولما كانت معلمة مدرسة الحضانة تعد نفسها قائدا ومرشدا ، فانى أرجح أن هذا هو أنسب مقام لأظهرك على ما نفعل .

كيف تعامل مدرسة الحضانة الأطفال — عندما نرى فى أنفسنا هداة

مرشدين لا حفظة للنظام ؛ فاننا نواجه السؤال ماذا ينبغى أن نفعل ومتى نفعله وكيف نفعله . وفى سبيل الاجابة عن هذه الأسئلة قد انتهت معلمة مدرسه الحضانة الى ادخار طائفة كبيرة من الحيل والألاعيب فى كمها . وأكثر هذه الحيل ينضوى تحت عنوان ترك الطفل يصل إلى الأشياء بنفسه بقدر ما يمكن .

ولقد قدمت ان الوالدين كثيرا ما يعجبون كيف ينجز معلمات مدارس الحضانة كل مايفعلون مع أنهن يبدون فى نفس الوقت كأنهن لا يعرن الأطفال الذين تحت عنايتهن أى التفات . والأمر المهم حقا هو أن معلمات مدارس الحضانة يحسن أداء واجباتهن إلى هذه الدرجة لأنهن فيما يلوح لا يوجهن إلى الأطفال شيئا من الالتفات . وليس عليك أن تقومى بعمل ما طوال الوقت الذى ترشدين فيه أطفالا . وقد لاحظنا أن اعوص المشاكل التى تواجهها المعلمات الحديثات بمدارس الحضانة هو التخلص من الشعور بأنهن يجب أن يكن بجانب الأطفال قائلات « كلا .. كلا .. لا تفعل هذا ! » أو « نعم . . يمكنك أن تفعل ذلك » .

وهاك عشر من حيل التوجيه والارشاد التى تعلمناها نحن معلمات مدارس الحضانة . وفى وسع كل أم أن تفعل كلا منها إلى درجة ما ، ولكن ثمة فرقا طفيفا هو أننا نعمل مع جماعات ، بينما تعملين أنت مع طفلك وحده .

(١) اكتسبى الطفل إلى جانبك : انا نثق بالطفل ونحاول أن نظهر هذه الثقة بالصبر والمودة . وقد يكون من العسير فى بعض الأحيان الصبر على سلوك أولئك الأشخاص الصغار الذين يتوثبون خفة ونشاطا ، ولكن عليك مع ذلك أن تبتسمى وتحتملى . انى أعترف أنه أشق عليك كأم أن تصطنعى هذا الصبر مما هو علينا نحن معلمات مدارس الحضانة ، فانا نتلقى الطفل بعد أن يكون قد نال راحته ونكون نحن قد استرحنا كذلك . وعندما يكون الطفل جائعا أومتعبا ،

أو عندما تكونين أنت متعبة خائرة القوى أو جائعة ، فان الصبر ولين الجانب لا يكون من اليسير التزامهما . ولكننا برغم ذلك لن نفعل شيئا سوى تأخير تقدمه ونموه وتعليمه إذا لم نكن من قوة الرأى بحيث نكسب الطفل إلى جانبنا قبل أن نحاول حمله على عمل شيء نريد منه أن يفعله . وخير سبيل إلى استمالة الطفل واكتسابه هو أن نتعلق بأهداب الصبر والرفق والمودة مهما يكن الثمن فادحا مرهقا .

(٢) إذا لم تنجح احدى وسائل معاملته فجربى غيرها : تجرب المعلمة طريقة من الطرق فاذا نجحت فيها ، أما إذا لم تنجح فانها تجرب غيرها ثم غيرها . ويحسن بك هنا أن تذكرى أن الأطفال من أشد المقلدين . وعلى ذلك فانه من أنجع وسائل معاملتهم تعليمهم بواسطة المثل الذى يحتذى . أريهم مرارا وتكرارا السلوك الذى تريدين أن يحتذوه ، وستبلغين النجاح فى النهاية .

(٣) لتكن أسئلتك أكثر عددا من أوامرك : هل يغلب علينا اصدار الأامر ؟ اننا قلما نفعل ذلك . قلما نقول « افعل هذا » أو « افعل ذاك » ، بل نحصل على ما نريد بطريقة أخرى ، بأن نقول شيئا كهذا : « هل تسمح بأن تفعل هذا من أجلى ؟ » أو « قد آن لك الآن أن ترفع لعبك » . وفى وسعك بل يجب عليك أن تصدرى الأوامر برغم ذلك عندما تكون سلامة الطفل فى الميزان . وسوف ينتهى الطفل إلى سن يستطيع فيها تقبل مثل هذه الأوامر . فاذا بلغت مثلا نقطة عبور أحد الشوارع وأمرت طفلك بالوقوف ، فانه يجب أن تتشدى فى وقوفه .

(٤) العقاب ينـدر أن يكون ضروريا : ألا نستعمل العقاب قط بمدارس الحضانة ؟ أننا لا نكاد نلجأ إلى ذلك أبدا إلا عندما نستعمل ما نسميه «العزل». فقد نقول مثلا « إذا استمررت على عض سمير فستذهب إلى الغرفة الأخرى

وتلعب وحدك » . والطفل لا يحب عادة أن يلعب وحده وهكذا يأتى هذا القول بأحسن الأثر . ولا نضطر إلى استعمال العزل أكثر من مرة أو مرتين حتى يعود الطفل مستعدا للامتثال والطاعة .

(٥) لا تستعملى الرشوة : يندر أن نحاول حمل طفل من الأطفال على عمل شيء بتقديم مكافأة له على أداء ذلك العمل . أعنى بذلك أن يقال للطفل « إذا فعلت كذا وكذا أخذتك إلى دار للعرض» . ونحن لا نكثر من الغلو فى الاطراء والثناء . وهنا نعانى مشكلة قد لا تعرض للأمهات . فان لدينا كثيرا من أولئك الصغار ، و إذا أثنى على أحدهم أمامهم ثناء مسرفا شعر الباقون بأن ثمة اهمالا لشأنهم أو نفورا منهم . ومثل هذا تماما يحدث فى حالة اللوم والتأنيب . فاذا كان طفل من الأطفال يتعرض للتأنيب الدائم على ما يأتى من الأشياء ، أخذ يشعر بأنه غريب لا مكان له . وعلى ذلك فاننا لا نكثر من المدح والثناء أو اللوم والتقريع ، بل نوجه عنايتنا إلى تشجيع السلوك المرغوب فيه واقصاء الطفل عن السلوك غير المرغوب فيه . وعملية الاقصاء بقدر ما نعلم أنجع أثراً فى ابن العامين أو الثلاثة أعوام .

(٦) تكلمى بهدوء ومباشرة : أننا نحاول بوجه عام أن نتكلم فى صوت هادىء ملطف ، ونجد أن المعلمات ذوات الصوت الناعم الحنون يكن فى العادة أوفر نجاحا مع الأطفال . وهناك شيء آخر ، هو أن نذهب إلى أحد الصغار ونتحدث إليه مباشرة ولا نصيح فيه عبر الحجرة . وعلة ذلك أنه قد يكون بسبيل عمل شيء من الأشياء فى ذلك الوقت ، وقد يكون هذا الشيء هاما جدا فى نظره . فاذا صحنا فيه من بعيد أزعجناه وأزعجنا الأطفال الذين يلعبون حوله . وهناك شيء آخله غير هذا ، وهو أننا لا نطلب اليه لثانى مرة أن يفعل شيئا قبل أن نتيح له متسعا من الوقت لتلبية طلبنا الأول . ومرة أخرى يجب أن تكونى صبورة واسعة الصدر .

(٧) تسامحى مع الطفل فى بعض الأمور : ان طفلك فى حاجة إلى يخلى ما بينه و بين بعض الأمور . وفى مدرسة الحضانة نتعمد الاغضاء عن بعض ما يعمل الأطفال مما لا ترون لنا رؤياه . على أنه يجب أن تذكرى أننا نعنى بذلك بعض الأمور لا كلها .

(٨) أظهرى للطفل انك تفترضين أنه سيطيع : نحن جميعا ندرك أن ابن العام الثالث حين يقول « لا » فانه يعنى فى الغالب « نعم » . ونحن نعلم ذلك لاننا شاهدناهم يقولون « لا » ثم سرعان ما يتحولون و يفعلون ما طلبنـاه منهم ، وعلى ذلك فاننا ننتظر من الطفل أن يفعل ما سألناه ، ونحاول أن نظهر له اننـا نتوقع ذلك منه ، فنوحى إليه بأننا نعنى « انك ستفعل هذا طبعا » . وعند ذلك لن يكون أمامه مجال كبير لعمل شىء غير ما نطلبه منه . وخير الطرق وأمثلها لنبث فيه هـذه الفـكرة هى أن نسأله ولا نأمره ، ونسوق إليـه إقتراحا ، لا طلبا جازما .

(٩) كونى ثابتة : اننا نجتهد ألا نقول « لا » فى هذه اللحظة ثم « نعم » فى اللحظة التى تليها . فان الطفل ليقع فى أشـد الحيرة والإرتباك أمام أحد أبو يه إذا كان يقول له شيئا فى هذه الدقيقة ثم يقول غيره فى الدقيقة التاليـة . عودى بفـكرك إلى معاملاتك لأطفالك . هل كنت تقولين شيئا وأنت متعبة ثم تقولين نقيضه تماما بعد أن تستوفى حظك من الراحة ؟ ان هذا أمر كثير الحدوث .

(١٠) دعى الطفل يعمل بعض الأشياء حسبما يريد : نعود الآن إلى هذه القاعدة ، ولعلها القاعدة التى تنطوى بالنسبة إلى نمو الطفل وتقدمه على أهمية تفوق أهمية غيرها من القواعد . انها تـكرار لنصيحة الدكتورة ليلى حسين الحـكيمة بأن تشعرى طفلك بمعنى المسئولية .

ومعلمة مدرسة الحضانة تساعد جزئيا فى إنماء هذا الشعور بالمسئولية بمساعدة الطفل على أن ينمى فى نفسه العادات المرغوبة كعادات النظافة والأخراج مثلا ، فاذا أنمينا هذه العادات أطلقنا الحرية للطفل دون أن نشعر كى يخرج و يتعلم بعض الشئون الهامة الأخرى التى لابد له من تعلمها ، ككيف يعامل النـاس وكيف يتقدم شعوريا واجتماعيا .

ومعلمة مدرسة الحضانة لا تقحم نفسها على الطفل فى موطن من مواطن لعبه ومرحه دون أن تدعى إلى ذلك أو تقوم الحاجة إليه . وعندما نرى الطفل عاكفا على شيء لايلحق به ضررا ولا يعرضه لخطر ، فاننا نقف من بعيد موقف الملاحظ . نلاحظه حتى نحميه إذا وقع فى مأزق ، ولـكننـا نقف بعيدا حتى يتهيأ له بقدر ما يمكن أن يتولى أمره بنفسه . اننا نقدم له من الحرية كل ما يستطيع أخذه فى حدود معينة لأننا نعلم ان اللعب الحر من أهم الطرق لتمـكين الطفل من التعلم . ونحن نطلب إلى مساعدينا أن يقدموا إلى الطفل أدنى حد من المساعدة والالتفات ، ونشجعهم على التطلق والبشر والإنشراح عندما يلعبون مع الأطفال ، دون أن يغمروهم بمظاهر المحبة والعناية .

وفى الختام أعتقد أن الشعب المصرى بوجه عام ، والأم المصرية بوجه خاص فى حاجة إلى أن يتعلموا كيف يلعبون مع أطفالهم ، ومتى يشاركونهم ، ومتى يتركونهم وشأنهم . إنى أعتقد أن الطريقة المثلى للدخول فى لعب الأطفـال من أعظم مهام الوالدين .

امضاء الدكتوره ربيكا جولد ستين

كبار المعضلات الشعورية للاطفال

سؤكد فى هذا المقام ما يحدث لكل طفل من الناحية الشعورية عندما ينمو ويكبر . وقد أوضح الدكتوراحمدسامى بالفعل كثيرا من أهمية النمو الشعورى فى حديثه عن « كيف ينمو الأطفال » ، وأود أن أزيد تعمقا فى الموضوع واستقصاء له لأنه من أهم الأشياء التى يمكنك الإلمام بها فى تنشئة طفلك .

واعترف أن الأطفال الصم لهم معضلات شعورية خاصة معينة لا تعرض للطفل ذى السمع السليم . ولكن الطفل الأصم ، كما بين غيرى فى هذا الكتاب وكما سوف يبينون ، هو طفل قبل أى شىء آخر ، وان به بناء على ذلك جميع الاحتياجات العادية التى لكل طفل . ولهذا السبب سأؤكد هنا ما يحدث لكل طفل من الناحية الشعورية عندما ينمو ويكبر .

المطلبان الشعوريان الأساسيان للاطفال : ان لطفلك أساسيا مطلبين شعوريين كبيرين .

(١) أن يكون محبوبا وأن يجيب عن الحب بمثله .

(٢) أن يقاوم المواقف التى لا تطيب له . فسلوك أى طفل إذن هو فى الحقيقة المحاولة التى يبذلها لاشباع هذين المطلبين الأساسيين .

وتبرز تلك المعضلات والمشاكل إلى حيز الوجود عندما نحاول تبيان كيف نجعل هذه الحاجة إلى أن يكون الطفل محبوبا وأن يجيب عن الحب بمثله مسايرة لتلك الحاجة الأخرى إلى مقاومة المواقف التى لا تطيب له ولا تلذه . ونحن ندرى عادة بالحاجة الأولى ، حاجة الطفل إلى أن يكون محبوبا وإلى أن يجيب عن

الحب بمثله ، ولكننا لا نشعر دائما بوجود الحاجة الثانية ، وهى الحاجة إلى المقاومة والمكافحة ، أو ما نسميه النزعة العدوانية .

ولنوضح الأمر على هذا النحو . ان النزعة العدوانية من الأشياء الرئيسية التى تهيء للشخص البالغ النجاح فى الحياة . ولكن هذه النزعة العدوانية فى الطفل هى من الأشياء الرئيسية التى تحدث ثورات الغضب . وكلاهما كما ترى تعبيران عن شعور فرد بانه فى موقف غير مرضى و بأنه يرغب فى أن يتخذ عملا حياله . ففى الشخص البالغ تأتلف نزعة الحب مع النزعة العدوانية لأن مشاعره قد نمت وا كتملت . أما فى الطفل فان مشاعره لم تنم بعد ، ولم يحرز بعد أدوات الاختبار والمعرفة التى يستطيع استعمالها ضد الموقف الذى لا يرضيه ولا يسره ، فليس يملك إلا أن ينفجر فى نوبة من نوبات الغضب والانفعال . و أكبر ما ينبغى علينا نحن الوالدين عمله اذن ، هو أن نمنح الطفل ما يحتاج إليه من الحب ، ونستجيب للحب الذى يريد أن يمنحه مقابل ما يلقى ، وأن نحاول بالتدريب التلطيف من الرغبة فى المقاومة أو النزعة العدوانية حتى تأتلف فى النهاية الحاجتان من الأساسيتان وتعملان فى توافق ووئام . والوالدان اللذان يخفقان فى توجيه وتلطيف هذه النزعة العدوانية بنجاح ، أى أن الوالدين اللذين « ينتزعانها انتزاعا من نفوس أطفالهم » سوف يجدان أمامهما فيما بعد بالغا ساقط الهمة يرجح أن يكون كسولا متراخيا ، و يرجح أن يكون فاشلا فى الحياة .

فى وسعك أن تقولى لطفلك مرارا وتكرارا « أحبك » ولكنك إذا لم تظهرى تمام العطف على حاجاته ومشاعره ورغباته ، فلن يصدق طفلك ماتقولين . عليك أن تبرزى هذا الحب حتى يراه .

ومعنى هذا أن الطريقة التى تتصرفين بها مع طفلك خلال فترة نموه ستكون أهم لدى الطفل بكثير من كثير من الكلام بلا عمل يؤيده . و إليك بعض المشاكل

التى تعرض فى حياة الطفل ، وهى مشاكل تنشأ من تضارب الحاجتين الأساسيتين للطفل . وستكون بعض الأمثلة التى أقدمها لك مبالغا فيها ، ولكنك إذا استخدمت معلوماتك فى حكمة وسداد ، فقد تعينك هذه الأمثلة فى القيام بمهمة مساعدة طفلك على نموه الشعورى خلال فترة اعتماده على سواه ، وفترة التدريب والتعليم ، وفترة التضارب والكفاح .

مشاكل فترة الاعتماد على الغير : فى التغذية . ان الطفل الصغير عاجز كل العجز ، يعتمد على والديه فى اشباع حاجاته البدنية . وقد قدم اليك الدكتور أحمد سامى بعض الارشادات فيما يختص بالتغذية ، وأوضح ما سوف أستخلص منه أكثر من نتيجة ، وان غذاء الجسم ليس كل الجواب لمشكلة الطفل ، وأنه يجب أن يكون هناك « غذاء للشعور » وكلما مرت الأيام وتقدم الزمن ازداد وضوحا وجلاء أن الناحية الشعورية فى الطفل الصغير كانت تلقى اغفالا مسرفا يتجاوز الحد .

ولقد أتى حين من الزمن رأى رجال العلم ان كل ما يحتاج اليه الطفل حقا هو أن توفر له الطعام والدفء . وكانت نظريتهم قائمة على أن الطفل لم يصر انسانا بعد ، ولكنه أدنى إلى النبات . ورتبوا على ذلك أنك كلما عاملته كنبات ، فانه ينمو ويترعرع . وراحوا يقومون ببعض التجارب لاثبات نظرتهم إذا نجحوا . ومن يدرى ؟ لعلهم لو قدر لهم النجاح كانوا يثبتون أن الطفل فى الحقيقة «رأس كرنبه»!

ومهما يكن من أمر تلك التجارب ، فقد أوضحوا أن أهم ما تهدف اليه تجاربهم هو ابعاد والدى الطفل عنه إلى أبعد مدى ممكن ، وفى هذا ما يقضى على كل احتمال « لاتلاف » الطفل بالتدليل . وكان المبعث الوحيد للحيرة والارتباك أنهم أصروا كذلك على أن لبن الثدى خير للطفل وأجدى علية من لبن زجاجة الرضاع ، وهكذا ألفوا أنفسهم فى ورطة معقدة ، ولم يستطيعوا أن يبينوا للأم

سبيلا للتخلى عن حضانة طفلهـــا ، فاضطروا إلى احتمال تضحية فى التجربة ، إذا لم يجدوا مفرا من السماح بأن يكون الطفل قريبا من مخلوق آدمى ، وذلك بترك الأم تحتضن الطفل .

ولسنا فى حاجة إلى القول بأنهم عجزوا دون اثبـات رأيهم . ان الطفل الذى يغذى بلبن الثـدى بوجه عام يكون أحسنْ حالا من الطفل الذى يغذى بزجاجة الرضاع ، ولـكن هذا اليس مرجعه مجرد أن لبن الثـدى هو اللبن « الطبيعى » للطفـل . ان كون الطفل الذى يغذى من الثدى لا بد أن تحضنه الأم التى ترضعه سبب لذلك أيضا . لمـاذا ؟ لأن الطفل عندما يتغذى من ثدى أمه يحصل على بعض الاختبار للعالم الخارجى ، وهذا الاختبار صلة حارة سارة . وعندما يحصل على اختبار سار للعالم الخارجى ، فانه يميل إلى الرغبة فى المزيد من هذه الاختبارات السارة . وعند ذلك يبدأ بالتحول شطر العالم الخـارجى بابتسامة صغيرة لوالديه ، ويزداد فى خلال الستة الشهور الأولى من حيـاته ائتلافا مع العالم الخارجى تدريجيا ، ذلك العالم الذى يعتمد عليه اعتمادا كاملا . وكلما كان الاختبار سارا له كلما كان أسرع إلى الرغبة فى التأليف بين نفسه وبين العالم الخارجى .

لقد كان أولئك العلماء مخطئين فعلا فى زعمهم أن الطفل يفسـد إذا لم يبعد عنه بنو الانسان . وأكبر الظن أن « الشقى الذى فسد » قد يكون ذلك الطفل الذى حرم من « الافساد » الذى تقدمه الأم عندما تحتضن طفلهـــا الحديث الولادة لترضعه أوتعنى به . قد يكون شخصا لم يحتضن وهو طفل صغير طفلا لم ينل ذلك الشعور الحـار الدافق ، فهو لا يبغى سوى الانكماش عن العالم واعتزاله .

<u>عنـدما يحاول استرعاء الانتباه</u> : ان الطفل الصغير الذى يرغب فى جذب الانتباه إلى نفسه ليس إلا طفلا يحتاج إلى مزيد من الحب . انه يستطيب حب

والديه ويجد فيه سرورا ولذة ويحب أن يكون معهما . وهو لم يبلغ بعد تلك المرحلة من مراحل النمو التى يشعر فيها بالأمن والطمأنينة إذا فصل عنهما وقتا طويلا . انها فى الحقيقة لخطوة واسعة فى طريق النمو والتطور حين يدرك الطفل أن وجود أحد والديه بجانبه دائما أمر غير ميسور . وانه ليتطلب فترة من الوقت لكى يعلم أن أباه وأمه بعيدان عن الصورة دائما كلما تركاه وحده . فان شعوره المنطقى لم يتقدم بعد إلى الدرجة التى يستطيع معها أن يتصور :

(١) لقد تركتنى أمى مرة قبل ذلك ، ولكنها (٢) عادت إلىّ ،
(٣) وعلى ذلك فانها ستعود إلىّ هذه المرة أيضا .

والأطفال الذين يحتضنون ويلقون الحب والحنان فى بواكير طفولتهم يكونون من أكثر الأطفال رضى وارتياحا ، لأن العالم لا يكون مكانا شديد الغرابة بالنسبة إليهم . وهذه الحقيقة تتمشى طوال الجزء الباكر من حياة كل طفل . فهو فى حاجة إلى الإحساس بأن له فى أبيه وأمه شخصا يحبه ويمنحه الإحساس بالحماية الدائمة . وبالإجمال إذا كان فى حاجة إلى العناية والإلتفات فأوليه عنايتك الممزوجة بالحب والحنان .

عندما تنتابه نوبات البكاء : هذه النزعة العدوانية تظهر أيضا عندما تعرض للوليد الصغير نوبات من البكاء . ان الأطفال المولودين حديثا ينتابهم الجنون والطفل لا يرى على أية حال سببا لحرمانه من نيل ما يريد . وليس هذا فحسب بل إنه إذا لم يحصل على ما يريد انتابه الخوف والفزع ، وما نعدو الحقيقة فى شىء إذا قلنا أن الطفل الغاضب هو طفل خائف ، واليك النهج الذى يسير عليه تفكيره « ها أنا أريد شيئا ولا أستطيع الحصول عليه ، فأنى لى أن أعرف أن هذا عالم سوف يعطينى شيئا على الإطلاق ، إن العالم يبدو لى مكانا مقبضا مخيفا . » فماذا

يفعل إذن ؟ انه يفعل الشيء الوحيد الذي يعرف كيف يفعله فيستخرط في البكاء وتنتابه نوبة من التشنج .

وليس ذلك من الغرابة فى قليل أو كثير ، فهو لم يبلغ من العمر ما يعلمه الصبر ، ولم يقرأ شيئا من الكتب عن كيفية مخالطة الناس ومسايرتهم وهو معتمد تمام الإعتماد على والديه فى كل مايحتاج إليه من الغذاء لجسمه ، والغذاء لشعوره . انه فى حاجة إلى الحب .

عندما يخشى العقاب : ان بعض الأطفال لا يحسنون السلوك إلا بدافع الخوف من العقاب . فحسن السلوك هو الثمن الذى يؤدونه للاستيثاق من أن والديهم سوف يحبونهم . وهذا خليق أن يغدو أداة شديدة الخطر فى يد الوالدين ، وهى أداة يستخدمها الوالدون أحيانا . و بعبارة أخرى أن الوالد الذى يوحى إلى طفله « إذا لم تكن حسن السلوك فلن أحبك » يوجد للطفل موقفا لا يكاد يحتمل إذ يستقر فى نفسه إشفاق مروع و يضحى فريسة لوجل هائل رهيب .

والطفل المرتاع الوجل لا يحسن التعلم ، ونحن نرى عاقبة ذلك عندما يكبر الطفل إذ تظهر شخصيته نقيصتان خطيرتان :

(١) فهو يضحى فردا دائم الخوف من أنه لن يُحب و ينفق كل وقته فى محاولة إرضاء سواه . فهو يعتذر عن كل شيء ، و يصير امّعة ضعيفا متمرغا تحت الأقدام .

(٢) وقد يستقر فى نفسه ان الحب لا يساوى ذلك ، وقد يعتقد ان الحصول على ما يريد أهم من محاولة إرضاء الغير إذ أن الحب ليس حارا جدا على أى حال . وعند ذلك يرى أن هناك شخصا واحدا يحبه على كل حال ، وعند ذلك يرى أن هناك شخصا واحدا يحبه على كل حال ، وهذا الشخص هو نفسه ، فلا يبذل صداقته ومودته لأحد إلا إذا حققت هذه الصداقة غرضا من أغراضه الشخصية وهكذا يمسى محبا لذاته قاسيا .

ولقد لقيتم جميعا هـذا النوع الثانى من الأشخاص ، الشخص الذى يبدو ظريفا أنيسا ما دمتم تسايرون آراءه وتوافقون عليها ، ولـكنكم لا تكادون تعارضونه بحال من الأحوال حتى يعرض عنكم ويوليكم ظهره . ذلك الشخص الذي لا يرعى قط حقوق أى أمرء سواه ، والذى يسخر الناس لأغراضه ومآربه ، وعلة ما به على الأرجح هو أن أبويه كانا يهددانه انهما لن يحباه إلا إذا أحسن فى سلوكه . وما كان راغبا فى تأدية ثمن الحب هذا لأنه ثمن باهظ ، وكان الاستسلام إلى حاجته إلى المقاومة والكفاح أيسر مؤونة وأقل كلفة .

مشاكل فترة التدريب — التدريب على التواليت : من أول المواضيع التى يقاوم فيها الطفل والديه أحيانا مرحلة التدريب على التواليت من حياته . وهذا موضع يجب أن تكون الأم فيه على أعظم جانب من الحرص والحذر من أن تترك ثغرة فى النمو الشعورى للطفل . ولما كنت أنا نفسى أما وكان علىّ أن أغسل الكفائل ، فانى أعلم لماذا تدرب بعض الأمهات أطفالهن على التواليت قبل الأوان ، وأعرف مدى الزمن الذى تضطرين فيه إلى غسل مجموعة كبيرة من الكفائل كل يوم ، فترين ان هذا ليس ضروريا ، وهكذا تبدأين التدريب على التواليت . وإنى لأقوم الآن بحملة فى سبيل الوصول إلى نظام لتأدية عملية غسل الكفائل للأمهات . على أن متاعب غسل الكفائل لا يمكن أن ينهض مبررا لكى تدرب الأمهات أطفالهن على التواليت قبل الوقت المناسب . فان التدريب على التواليت إذ بكر فيه يمكن أن يؤذى التقدم الشعورى للطفل .

ومن أسباب تبكير الأمهات فى تدريب أطفالهن على التواليت هو هذا : ان أطفال مدام سامى مدربون على التواليت ، فلننس كل ما يتعلق بأطفالها . ولكنها عندما تثرثر متحدثه عن طفلها فانها تقول فى استخفاف ورضا « هـذا أمر تافه . لقد كان طفلى مدربا تمام التدريب فى الشهر الثامن من عمره »

أو ما يشبه ذلك من الأقوال التى تعنى انه كان كذلك من قبـل أن تلقى قصتها وفى وسعك أن تسمى هذه كذبة « بيضـاء » لا ضير فيها ولا تفـكر فيها قط بعد سماعها .

ان الطفل يجد أكبر المشقة فى قبول التدريب على التواليت بسبب الموقف الذى أنشأه الوالدان فيه نحو هذا التدريب . إرجعى بذاكرتك إلى الوقت السابق لبدئك فى تدريب طفلك على التواليت . فعندما كانت أمعاء طفلك تسير سـيرا حسنا مثلا كنت تطرين الطفل فيما أرجح وتحملينه على إدراك انه سرك وأرضاك ولـكنك كنت فيما بعد إذا ما فوجىء بضرورة من الضرورات انطلقت تعنفينه لأنه لم ينبئك قبلهـا ، أى انك بعبارة أخرى كنت تعنفينه على ما كنت تثنين عليه من أجله فيما سـبق . وهكذا كان الطفل فيما مضى يتصور انه منح أمه هديه أو شيئا يبدو أنها تقدره وتراه ذا قيمة ، وهو الآن يقدم اليها نفس الهدية فتقذف بها بعيدا وتعنفه ، وهذا أمر غير مفهوم ولا معقول بالنسبة إليه .

وانه ليـكون من العسير عليـك كذلك فهمه لو أن زوجك جعل ديدنه التحدث دائما بأن الشىء الوحيـد الذى يتمناه ويرغب فيه هى سيارة كاديلاك فتأتينـه بالسيارة التى يرغب فيها . وعند ذلك تثور ثائرته لأنك لم تعنى بهـا العناية الكافية فى نظره فتركتها مكشوفة أمام الباب ، فيأخذ تلك السيارة الأنيقة الفاخرة ويرمى بها فى النهر . ان هذا ليكون فى نظرك عملا غير معقول ، وليس طفلك بأوفر منك ذكاء على الأقل .

ويذكر بعض الوالدين انهم خلال مرحلة التدريب على التواليت يلاقون مشكلة خطيرة من جراء الإمساك . وأن ثمة لاحتمالا كبيرا أن يكون هذا الإمساك ناشئا عن علة شعورية لا عن علة جسمانية . وانى لأذكر طفلا أصيب الإمساك خلال أيام تدريبه على التواليت ، وأذكر أن كل ما كان يقوله لأمه كلما حاولت

العمل على تحريك أمعائه « لن أعطيك اياها . . . لن أعطيك اياها » ثم يثور عليها ويأمرها بالخروج من غرفة الحمام قائلا « لا يمكن أن تأخذيها . انها ملكي ! » ولا ريب أن علة هذا الطفل كانت علة شعورية . فلقد حمل على الاعتقاد . (١) بأن حركة الأمعاء كانت ثمينة بالنسبة اليه و (٢) ان أمه ستدمرها .

وفى بعض الأحيان قد يلجأ الأطفال إلى التلويث كهجوم على الوالدين . فبالرغم من أن الطفل قد يكون أوسع إدراكا وفهما ، فانه ليرغب فى الانتقام لنفسه ومقاومتك . ولعلك تشعر انك محق فى معاقبته لأنك تعرف انه أوسع إدراكا وفهما ويعقل مايفعل . ولكن الطفل إذا عرض له « حادث » عن قصد وتعمد ، فالأرجح أنه يكون حانقا عليك ، وكل ما تصل إليه من معاقبته هو أن تجعله أشد حنقا وغضبا . وإذا نظرت إلى الأمر من هذه الزاوية ، فسترى ان معاقبته لا تجديك كثيرا . أجل انك إذا عاقبته على عمل من أعمال التلويث المتعمد فقد تمنعه من مقاومتك بهذه الطريقة ، ولكنه سيفكر فى طريقة أخرى للاقتصاص منك إذ أنك بمعاقبته على التلويث لم تقض على موطن العلة الأساسى فى علاقتك بالطفل .

وشدما أتطلع إلى ذلك اليوم الذى لن نفكر فيه فى تدريب الطفل على التواليت قبل أن يكون فيما بين الشهرين الخامس عشر والثامن عشر من عمره .

ان التدريب على التواليت الذى يبدأ متأخرا بعد أن تكون قد أنشئت صلة بهيجة وطيدة بين الطفل وأمه يسير فى الغالب يسيرا لينا ويكون لينا ويكون أقل عسرا ومشقة وأدعى إلى الرضا والارتياح . وقد اتفق انى لم أدرب طفلى الثانى على التواليت حتى استتم ٢٢ شهرا . كان ذلك ابان الصيف . وفى خلال حديث عرضى تقريبا فى ذلك الحين أوضحنا له انه يستطيع استعمال التواليت على طريقتنا

لو أراد . فماذا الذى حدث ؟ لقد كان منذ ذلك اليوم يجلس على التواليت ولم يلوث كفولة واحـدة . ولا ريب أنه لم يتلق شيئا من التدريب على التواليت ، بل أدرك نهائيا انه يستطيع الآن أن يفعل كما يفعل أهل البيت جميعا ، وأكبر ظنى انه كان فخورا بعمل ذلك .

وقد أجريت اختبارات أخرى تبين أن الطفل إذا درب على التواليت فى أواخر السنة الثانية من عمره فانه يقل خطر استمراره فى تبليل فراشه عنـدما يزيدون عن ذلك عمرا . ولـكن أهم ما ينبغى أن تتذكريه عن كيفية التصرف أثناء تدريبك لطفلك على التواليت هو : لا بأس على طفلك أن يبلل بعض الـكفائل بين الحين والحين . وإذا حملت الأمر على هذا المحمل ونظرت إليه على هذا النحو ، فستكون صلتك بطفلك مرضية مريحة .

وثمة فرق بين البالغين الذين يبللون فراشهم والأطفال الذين لم يدربوا على التواليت . فان البالغ الذى يبلل فراشه (وقد كان فى الجيش والبحرية كثيرون من هذا الطراز ابان الحرب العالمية الأخيرة) يعانى تضاربا شعوريا عميقا لا نقصا فى التدريب على التواليت . وليس فى وسعك تسمى الطفل ما « مبللا لفراشه » إلا إذا كان يبلله فعلا و باستمرار بعد أن يبلغ سن الرابعة أو الخامسة جثمانيا وعقليا .

الأحلام والمرعبات الليلية — قد تعرض لطفلك فى الليل بعض الخيـالات المخيفة المرعبة خلال فترة التدريب على التواليت فتظنين أنك لم تحسنى القيـام بعملك . ولـكن الأمر لا يتحتم أن يكون كذلك . فان نسبة كبيرة من الأطفال تعرض لهم هذه الصور المخيفة المرعبة التى لا سبيل إلى تجنب الـكثير منها . وهى فى الحقيقة نتيجة النضال مع أحد الأبوين ، ولـكن هذا النضال قد يكون ممـا لا سبيل إلى منعه فى ذلك الموقف من مواقف الحياة .

اننا نكثر من الحديث عن كون الطفل فى أمان شعورى مع أمه او أبيه .

وهذا أمر هام ومن واجب الأم أو الأب أن يساعد الطفل فى أن يكون فى أمان شعورى ، ولكننا لا نستطيع أن نصل فى ذلك إلى حد التمام والكمال . فاذا أبدى طفلك بين الحين والحين علامات تدل على أنه يعانى اضطرابا شعوريا كأن يرى فى الليل أحلاما مخيفة مثلا ، فان هذا لا يعنى بالضرورة انك والدة لا تحسن أداء مهمتها . والوالدان من بنى الانسان على كل حال . ان جميع المقالات التى تعالج موضوع رعاية الأطفال والمقالات التى تعلل طبيعة الطفولة وسلوكها ، هذه كلها تركز هجومها على الأم . ولكنى الآن أشك ألا توجد هذه المقالات من الشقاء فى ذهن الأم أكثر مما تستطيع تلك الأم أن توجد من الشقاء فى ذهن طفلها . وما دامت الأم من بنى الانسان على كل حال ، فمن حقها بلا ريب أن ترتكب بعض الأغلاط . وليس فى مقدور أحد أن يعكف دائما أبدا على لومك وتفنيدك لأنك لم تفعلى من أجل طفلك كل ماينبغى فعله ، فان كل ما فى استطاعتك هو أن تقومى بمطالب طفلك فى حدود فهمك ومقدرتك .

ومع استحضار هذه الحقائق فى ذهنك دائما ، أذكرى أن هذه المخاوف الليلية التى يكابدها الأطفال مرجعها احساس بعدم الأمان الشعورى من جانب الطفل . وبين أيدينا حالات كان فيها الأطفال يتذكرون الأحلام التى رأوها والتى نشأت عنها مخاوف ليلية . وكثير ما يحلم الطفل بأنه ضل طريقه ووقع فى تيه لا يعرف لنفسه مخرجا منه ، وهو يحاول أن يهتدى إلى شخص يهديه ويرده إلى سواء السبيل . وقد يرى نفسه أحيانا تائها فى غابات مترامية الأطراف أو قد يرى نفسه أحيانا أخرى تائها فى الظلام فحسب . وهذا معناه أن الطفل مشفق حقا من أن يفرق بينه وبين والديه وهذا الخوف يتداخله لأنه لسبب من الاسباب يشعر أن والديه لا يجيبان حوائجه . وأن الطفل ليشعر بأن والديه يتخليان عنه مثلا وعندما يعاقبانه ويقومان عوجه وعندما يقولان له « لا تفعل هذا . . . لا تفعل ذاك » .

ويجد الطفل من السهل اليسير أن يحب أباه أو أمه ، ويبلغ الخوف من فقد حب ذلك الوالد ذروته خلال الستة الشهور الأولى من السنة الثانية . أماقبل بلوغ هذه الذروة فان الطفل يكون آخذا فى الالمام بالفرق بين أن يكون دمثا جذابا وأن يكون شريرا منفرا . وأنه لوقت اضطراب واختلاط بالنسبة إليه يجعله خائفا مشفقا . وربما اتفق له عندما يظن نفسه دمثا جذابا وانه سيجازى على ذلك بالإطراء والثناء أن يجد انه شرير منفر وأنه يلقى من أجل ذلك اللوم والتأنيب . بيد أن عليه أن يتعلم هذا الفرق ، وكل ما تستطيعين عمله هو أن تمنحيه أقصى ما يسمك من الحب فى تلك الظروف .

ما ذا ينبغى أن تفعلى عندما تعرض لطفلك مخاوف ليلية ؟ حسنا . يجب أن تكونى حاضرة دائما عندما يهب الطفل من نومه صائحا من جراء حلم سيء . ويجب ألا تتركيه وحده عندما يصيح باكيا بل يجب أن تؤكدى له حبك بالذهاب إليه وتهدئة روعه . أجل إن ذلك سيفسد عليك نومك ، وقديداخلك الظن انك إذا التفت إليه فسيصيح كل ليلة للحصول على هذه العناية والالتفات . ولكنى أصر انك لن تجدى سبيلا إلى معرفة ما به إلا إذا ذهبت إليه فى كل مرة . ولماذا لا تجعلين الطفل يستيقن من انك بصفتك أمه موجودة معه ولم تتخلى عنه ؟

ان الطفل العادى فى الواقع ليشب عن هذه المخاوف الليلية ويخرج عن نطاقها كما تخرج قدمه عن نطاق حذائه الصغير . على أن هذه المخاوف إذا طالت فوق ما ينبغى لم يكن لك بد بطبيعة الحال من استشارة أحد من العارفين بتلك الشئون فى هذه المشكلة . وأهم ما فى الأمر هو ألا تقلقى نفسك بالتفكير فيما إذا كنت تحسنين أو تسيئين عندما تذهبين إليه فى الليل ، فسوف ينتهى بك الأمر إلى كثير من الدعة والهدوء . وان فى ذهابك إلى طفلك فى جوف الليل لتهدئة

روعه ورد الطمأنينة والأمن إليه عندما ينتابه الروع والفزع ، لباعث من أكبر بواعث الرضا والارتياح ، ويمكن أن يكون هـذا الرضا من عظم الشأن بحيث يعوضك مما تفقدين من نومك . وإذا استمر هذا عدة ليال كأنه عادة جارية ، فمن الخير أن تتناوبي وزوجك هـذه المهمة فيتولاها كل منكما ليلة ، إذ ليس ثمة ما يبرر حرمانه من هذا الاختبار السار المفيد والاستمتاع به .

المشاكل خلال مرحلة الـكفاح : كلما قطع الطفل شوطا من مرحلة الاعتماد ازداد قدرة على معالجة مختلف المشاكل والمواقف ، ويغدو فى مقدوره الذهاب إلى الثلاجة إذا ماجاع ، والقيام بعادات التواليت وغير ذلك من حاجاته . وتبدأ مقدرته على الاستقلال الشعورى تنمو وتتطور ، ويتضح ان فى وسعه أن يعطى من ذات نفسه كما يأخذ ، وعند ذلك يحدث شيء جرى بالاهتمام . فان الطفل يبدأ فى توجيه شـعوره نحو والده إذا كان فتاة ، ونحو والدته إذا كان غلاما . وإذا لم نعترف بهذه الحقيقة فقد يصاب الطفل بكثير من السوء والأذى .

نضال الطفل مع أبيه : اعتقد انه قد عرضت لـكم جميعا الاختبارات التى تبين ان الغلام يتعلق بأمه ، كما تتعلق البنت بأبيها . ويبدأ ذلك فى الظهور عندما يكون الطفل فى نحو الرابعة أو الخامسة من عمره . وان ولدك الصغير ليكون ظريفا طوال اليوم ، فاذا ما عاد أبوه إلى البيت فى المساء تولاه الغضب والانفعال فتقولين « لنرسله إلى فراشه » ويأوى إلى فراشه . وهذا نفسه يحدث أيام الجمع بالنسبة إلى كثيرمن صغار الغلمان . وتتساءلين «لماذا يصعب قيادة هكذا فى أيام الجمع » . والسبب فى ذلك بسيط وهو أن الغلام فى نضال مع أبيه . ان احاسيسه الشعورية تتجه نحو أمه ، وهو لا يحب أن يشاركه أبوه فى أمه .

على أن الغلام الصغير ليس ضد أبيه بكليته . فهو يعتقد أن أباه ، منفردا ، شخص ظريف أعظم الظرف ، وهو يريد حقا أن يحبه . ولـكنه يحب كذلك أن لا يراه عندما تـكون أمه موجودة لأنه يريد أن يستمتع هو بأمه .

وهذا هو السبب فى أنك غالبا ما تسمعين صغار الغلمان يقولون « عندما أكبر يا أماه سأرعاك وأقوم بكل أمرك » أو « عندما أكبر يا أماه سأفعل هذا أو ذاك من أجلك » أنه وقت عصيب فى تطور الطفل .

ويحدث فى ذلك الوقت أن يبدأ فى الطفل الوعى ، ويتهيأ للطفل حل هذا النضال مع أبيه (إذا كان غلاما) بأن يعتزم بدلا من أن يكون خصما لأبيه أن يكون شبيها له ويشاركه فى اختبارات الرجولة . وعند ذلك يبدأ فى أن يعمل كما يعمل والده ، فيتبختر حول البيت ويكف عن اللعب بالعرائس إذ يرى فجأة ان اللعب بالعرائس ليس بالشىء الذى يمكن أن يفعله أبوه لأنه لا يليق بالرجولة لما فيه من لين الأنوثة ونعومتها . ويبدأ فى أن يقيم لنفسه نموذجا يحاكيه ويصقل نفسه على غراره ، وقد يحدد هذا النموذج نوع الرجل الذى سيصير إليه إذا ما كبر .

فاذا لم يكن أبوه مثلا صالحا له ، وإذا لم تظهر أمه له من الحب ما فيه الكفاية ، كان الغالب ألا يصير الطفل رجلا صالحا جدا . أما إذا أظهرت أمه له الحب والحنان من الناحية الأخرى ، وكان الأب مثلا غير صالح له مع ذلك (أو إذا لم يكن الأب موجودا) فان الطفل سيظل تنقصه المثل الطيبة جدا ، ويرجح ألا يصير رجلا صالحا جدا . وفى مثل هذه الحالة ينبغى أن تحل الأم محل الوالد رجلا آخر كأحد الأعمام مثلا أو أحد ذوى القربى الوثيقة بالأسرة حتى يتهيأ للطفل مثل أو نموذج حسن يحتذيه وينسج على منواله . والطفل يرغب أساسيا فى أن يكون محبوبا من أبيه ، والغلام الصغير الذى يعتقد أن فى وسعه الحصول على هذه المحبة بأن يكون أشبه بالفتاة يبدأ فى محاكاة أمه وتقليدها . وهذا أمر ينطوى عادة على أوخم العواقب ، لأنه فى العادة يزيد من نفور الأب وخصومته ، دون أن يفوز الطفل من أبيه بالمحبة المرموقة .

ومن المهم جدا للطفل أن يكون الطفل قد عرف أباه وأشيد شعورا طيبا نحو أبيه عندما يبلغ الرابعة أو الخامسة . فهو فى حاجة إلى الإحساس بأن أباه ليس بالشخص الشديد الخطر . وإذا عرضت له مخاوف ليلية أثناء فترة النضال هذه ، وإذا كان النضال شديدا ، فستكون أحلامه فى العادة عن شىء يثب عليه من الظلام . وهذا الحيوان الشرير أو ما يتفق أن تكون صورته يمثل الوالد . انه تلك الناحية التى يخافها الطفل من أبيه ، وإذا كان على علاقات حسنة بأبيه فانه لا تعرض له مخاوف ليلية . وإذا كانت علاقاته بأبيه حسنة فانه ينسى الجانب السىء من أبيه تمام النسيان .

نضال الفتاة مع أمها : تجتاز الفتاة الصغيرة مثل هذه العملية ، ولكن لها مشكلة اضافية . فهى لا تزال تعتمد على أمها فى بعض حوائجها ، وأمها هى التى تكون موجودة معها فى معظم الأوقات . وقد تتحول إلى أبيها وترى أمها منافسه لها فى حبه ، وهى تذكر فى الوقت ذاته أن أمها طالما عنيت بها وقامت على خدمتها ، وهذا هو السبب فى أن الفتاة الصغيرة تريد أن تحبك لحظة ، وتود إيذاءك والإساءة إليك لحظة أخرى .

وقد قالت لى إحدى الأمهات ذات مرة « ان ابنتى الصغيرة لا تريدنى أن أحبها » . أجل أنها قد تبدو غير راغبة فى حبك . وإنها فى أشد الحيرة والاختلاط ، ولكنها قد تقرر فى نهاية الأمر أن تشابه أمها وتحاكيها بدلا من أن تنافسها وتخاصمها دائما أبدا . وعند ذلك قد ترى أن أمها شخص عظيم القدر ، فتقبل على اللعب بعرائسها مقلدة فى ذلك أعمال أمها .

والغلام الصغير الذى رزق أبا مهذبا يحتذى مثاله والذى يصير مثل ذلك الأب ، سوف يكون دائما محبا لأمه . ويرجح أن يظهر هذا الحب ويتضح عندما يتزوج ، لأنه سوف يتزوج إذ ذاك امرأة على شىء من المشابهة لأمه ، إذ لا تزال أمه فى نظره المرأة المثالية ، وهذا هو الزواج الذى يغلب أن يكون دائما موفقا .

وهذا أيضا يصح تماما بالنسبة إلى الفتاة الصغيرة إذ سوف تميل إلى الاقتران برجل يشبه أباها .

هذه أوقات عصيبة كما قدمت ، ولكن الأطفال سوف يحلون هذه المشاكل بأنفسهم ما دمنا نظهر حبنا لهم ولا نحاول ارغامهم على عمل الأشياء التى لا يزالون عاجزين عن عملها . وإذ ما استتم الطفل عامه السادس وبدأ فى الذهاب إلى المدرسة ، راح يوسع من نطاق محبته حتى يشمل رفقاءه . وتعرض أوقات تظنين فيها أنه نسى محبته لك لأنه يظن أن لداته من أطفال المدرسة والألعاب التى يلعبونها وما إلى ذلك أوفر لذة ومتاعا وأن كان قرب والديه منه شيئا حسنا .

كلمة أخيرة : فى وسعك كما يقول الدكتور احمد سامى أن توقفى النمو البدنى بواسطة سوء تغذية الطفل ، ويمكنك كذلك وقف النمو الشعورى بعدم إعطاء الطفل كفايته من الحب والحنان . وليس من السهل تبين النمو الشعورى عندما يكون الطفل صغيرا جدا ، ولكنه يظهر بقوة عندما يبلغ أشده .

وكل هذه الأمور تنطبق على تربية الطفل الأصم . كونى رفيقة لينة الجانب مع طفلك ، وكونى موجودة معه أكثر ما تستطيعين . ويجب بطبيعة الحال ألا تهملى زوجك ، ولكن كونى مع طفلك أكثر ما يمكن . وسواء أكان الطفل مصابا بقصور طبيعى أم لم يكن ، فان الأم التى توفر لطفلها ما يحتاج إليه من الحب والحنان والأمن تجعل منه طفلا حسن الاعداد للحياة .

فتحيه سامى

الأذن وكيف تؤدى وظيفتها

كنت تقرأين حتى الآن كيف تروضين طفلك ونفسك ، ولم نتناول بعد موضع الأطفال الصم على وجه التخصيص والتعيين ، اعتمادا على النظرية القائلة بأن الأطفال الصم هم أطفال قبل أى اعتبار آخر ، وان الأشياء التى تتعلق تبعا لذلك بالأطفال الصم دون ريب .

والآن نبدأ بقسم من الكتاب يختص بمساعدة الأطفال الصم خاصة . وليس ثمة ما يمكن أن نبدأ به خيرا من البحث فى الأذن واستقصاء ما يتعلق بها . وبذلك نتناول مصدر قصور طفلك وعلة نقصه ، وإذا ما فهمنا ما يسير سيرا حسنا منتظما أو ما هو ليس بكذلك فى الأذن ، كنا أقدر على الإلمام بما نعالجه والإحاطة به عندما نحاول مساعدة الطفل الأصم .

وهناك أربعة أشياء يجب أن نعرفها عن الأذن .

١ — كيف تتركب الأذن ؟ وهذا هو ما نسميه علم التشريح .

٢ — كيف تقوم الأذن بوظيفتها ؟ وهذا هو ما نسميه علم وظائف الأعضاء .

٣ — ما هو الخلل الموجود بأذن الطفل الأصم ؟ وهذا هو ما نسميه الباثولوجيا أو علم الأمراض وطبيعتها .

٤ — ما الذى سبب ضعف سمع طفلك أو صممه ؟ وهذا ما يسمى الايتولوجيا أو علم الأسباب والعلل .

وقد أوردنا بالصفحة   من هذا الكتاب رسما تخطيطيا سهلا موضحا حتى يمكنك تتبع ما نقول .

ما هو المفروض أن تؤديه الأذن ؟ — قبل أن نتناول أجزاء الأذن بالكلام يجب أن نعرف أولا لماذا أوجدت بنا الآذان . ان للأذن وظيفتين :

(١) تمكيننا من السمع . و (٢) تمكيننا من معرفة أننا نتحرك إذا تحركنا والاتجاه الذى نتحرك فيه ، وإن كانت هاتان الوظيفتان فى الحقيقة الأمر وظيفة عظيمة واحدة هو مساعدتنا على معرفة وضعنا بالنسبة إلى الحيز والأشياء التى تحيط بنا .

وسنبدأ بالحديث عن ذلك الجزء من الأذن الذى يؤدى الوظيفة الأولى ، ذلك الجزء الذى يمكننا من السمع . أنظر فى الرسم لترى مكانه وشكله .

ان وظيفة هذا الجزء من الأذن هى التقاط الأصوات وارسالها إلى المكان الذى تفرز فيه وتفرغ عليها معان فى المخ . فاذا سمع شخص ما صوتا يعرف أنه يعنى الخطر ، سرى هذا الصوت فى ذلك الجزء من الأذن وصار فرزه . وعند ذلك يبادر مخه إلى ارسال رسائل أخرى ضارة به أنه لا يستطيع سماع الصوت الخطر ، فلا يتهيأ له التحول والتفادى وهنا يكون الطفل الأصم فى موقف عجز . وسنتعمق فى ذلك فيما بعد . ولنر أولا كيف تتركب الأذن ، وما الذى يقوم به كل جزء من أجزائها .

الأذن الخارجية : ان ذلك الجزء من الاذن البارز على جانبى رؤوسنا لم يعد كبير الأهمية . ويظهر أنه عندما كان أسلافنا يمشون على أربع ويهزون ذيولهم كان لذلك الجزء الظاهر من الأذن وظيفته وفائدته . وانت لتلاحظ أن العجماوات لا تزال حتى الآن ترفع آذانها ، وهذا يمكنها من زيادة سمعها . أما بالنسبة الينا نحن بنى الانسان ، فانه لا يكاد يكون زينة فحسب .

وهناك فى الحقيقة أطفال يولدون اليوم دون أن يكون أى جزء من آذانهم بارزا ، وهم برغم ذلك ليسوا صما . وهذا الجزء يسمى صدفة الأذن الخارجية . وفى وسعك أن تقطعه دون أن يضيرك ذلك كثيرا إلا من حيث المنظر والهيئة . وكل المفروض أن يفعله هو المساعدة على التقاط التموجات الصوتية ، ولكنه لا يحسن القيام بهذه المهمة كثيرا .

وبعد أن تدخل الأصوات صدفة الأذن ، تدخل قصبة أو قناة ندعوها القناة السمعية . ويبلغ طولها نحو بوصة ونصف ، والجلد الذى بداخلها به خلايا شعرية منتصبة . وبها كذلك غدد تفرز عرقا وغددا أخرى تفرز سما . وتفرز هذه الغدد فى بعض الناس كثيرا من الشمع ، أما فى البعض الآخر فيكون افرازها قليلا ؛ وبقدر ما يبلغه علمنا ، فان ذوى الجلد الزيتى من الناس يتكون فى آذانهم من الشمع أكثر مما يتكون فى آذان ذوى الجلد الجاف .

وتكون الشمع بأذنيك أمر طبيعى تماما ، وهو فى العادة عديم الضرر إلا عندما تحاولين ازالته . وإنك لترين بعض الناس يستعملون دبابيس الشعر ومشابك الورق فى اخراج الشمع من آذانهم ، وكل ما يمكن أن يحصلوا عليه من ذلك هو خدش الأذن والتسبب فى نشوء دمل بالقناة السمعية . ولا يختلف هذا الدمل عن غيره من الدمامل إلا من حيث أنه أشد ايلاما . وعلة هذا الألم الشديد هى أن جلدة القناة السمعية مشدودة جدا وليست مسترخية كجلدة وجنتك مثلا .

وانى لأنصح الأمهات دائما : لا تدخلى شيئا أصغر من مرفقك فى أذن طفلك أو أذنك لهذا الغرض ، وبذلك تتجنبين المتاعب تماما . وليست بك من حاجة فى الأغلب الأعم إلى ازالة هذا الشمع من أذنك قط ، ولكن إذا اضطررت إلى تنظيفه فلا تستعملى سوى قطعة من القماش النظيف ولا تحشريها فى الأذن حشرا .

وفى نهاية القناة السمعية غشاء رقيق هو طبلة الأذن . وهو بيضاوى الشكل ، يبلغ حجمه نحو ربع بوصة فى ثلاث أثمان البوصة ، ويماثل فى رقته ورق البرشمان . وتتكون هذه الطبلة من ثلاث طبقات : (١) الطبقة الخارجية وهى من جلد كالجلد الموجود داخل القناة السمعية تماما . (٢) الطبقة الوسطى وهى من ألياف

ملتفة . (٣) الطبقة الثالثة وهى غشاء مخاطى يبطن الأذن الوسطى . وطبلة الأذن منحنية انحناء خفيفا أو مقعرة فيما نصفها . وهى أكثر رقة ومرونة عندما تكون طفلا منها وأنت كبير .

الاذن الوسطى — يبدأ من داخل الطبلة مباشرة تجويف صغير ندعوه الأذن الوسطى . وهى لا تزيد فى الحجم عن حجم الفولة الصغيرة تقريبا ، ولكنها تقوم بمهمة كبيرة . ففيها تتصل ثلاث عظيمات تسمى فنيا المطرقة والسندان والركاب لأنها تشبه فى منظرها هذه الأشياء .

وإليك كيفية قيام هذه النظيمات بوظيفتها : أولا يحدث الصوت الداخل من القناة السمعية ذبذبة بالطبلة . وهذه الذبذبة بدورها تحرك المطرقة إلى الداخل ، وهذه بدورها تحرك السندان . وعند ذلك تؤدى حركات السندان إلى أن يقوم الركاب بتحريك غشاء آخر موجود بين الاذن الوسطى والاذن الداخلية . فاذا ماتحرك هذا الغشاء نبه الأعصاب التى تدفعنا إلى عمل شىء ما حيال ما نسمعه . وبهذه الطريقة فان هذه النظيمات الصغيرة الثلاث :

(١) تحمل الصوت عبر الفراغ المفتوح الذى نسميه الأذن الوسطى .

(٢) تزيد من ارتفاع الصوت .

(٣) تقوم بعملية واقية التصادم أو امتصاص الصدمات إذا كان الصوت الذى يدخل الأذن الخارجية مسرفا فى الارتفاع .

وبأعلى تجويف الأذن الوسطى طبقة غضروفية وفوق هذا السقف الغضرفى للأذن الوسطى مباشرة يوجد الجزء الأوسط من المخ . وعلى مقربة من قاع تجويف الأذن الوسطى فتحة أخرى تؤدى إلى قناة . وهذه القناة ضيقة تمتد إلى

القسم الخلفى من الأنف والقسم الأعلى من البلعوم . ونحن ندعو هذه القناة قناة استاخيوس .

وعلى ذكر قناة استاخيوس أريد أن أتحدث عن الطريقة المثلى للتمخط ، واليك السبب ، إذا عرفنا الطريقة الصحيحة للتمخط ، فاننا بذلك نتجنب كثيرا من الاصابات المعدية والخراجات بالأذن الوسطى . وانى لواثق أنك كنت تتمخطين فتحسين بطقطقة فى أذنك ، وهذا يعنى انك كنت تزيلين بعض الضغط الموجود بأذنك الوسطى عن طريق قناة استاخيوس التى ذكرناها ، أو انك دفعت بشىء من الضغط إلى الأذن الداخلية عن طريق قناة استاخيوس وعلى ذلك فلا تأخذى طفلك وتضغطى خياشيمه قائلة «انفخ ياسمير» . وإذا اتفق أن كان مصابا ببرد أو عدوى ، فان كل ماتفعلينه بالضغط على خياشيمه هو نفخ المخاط إلى الوراء فى قناة استاخيوس إلى الأذن الوسطى . فعندما تنفخين أنفك أو أنف طفلك ، يجب أن تفعلى ذلك والمنخران كلاهما مفتوحان على سعتهما . واذا كان لابد لك من مسك الأنف فامسكيه من الجزء العظمى الذى لا يضغط إلى الداخل والذى يوجد قرب نهاية الأنف .

واليك ما يحدث اذا وصلت الاصابة الى داخل الأذن الوسطى . يملأ السائل أو الصديد التجويف دون أن يكون له منفذ منه ، وهكذا يضغط على الجزء الداخلى من الطبلة . وتستطيع الطبلة أن تحتمل كثيرا من الضغط من الداخل ولكنها قد تنكسر . وشر ما فى الأمر هو أنها اذا انكسرت من تلقاء نفسها فانها تنكسر عادة فى موضع غير ملائم ، وبذلك تحدث اصابة بالأذن تستمر وقتا طويلا وتسمى اصابة مزمنة . ونتيجة لذلك فاننا فى حالة وجود اصابة بالأذن الوسطى نؤثر عادة أن نفتح طبلة الاذن بأنفسنا لاخراج الصديد ، اذ أننا نستطيع اختيار أنسب المواضع لأحداث الفتحة .

وبعض أنواع الصمم ، وهو ما ندعوه بالصمم التوصيلى ، يمكن أن يحدث

اذا لم تقم الأذن الوسطى بوظيفتها كما ينبغى . ويحدث اذا لم تقم الأذن الوسطى بوظيفتها كما ينبغى . ويحدث هذا الصمم التوصيلى عاده اذا كانت قناة استاخيوس مسدودة . وخلف الأنف حيث تنتهى قناة استاخيوس ، يوجد نسيج سمى جميعا أنه يسمى لحمية الأنف. ومن الوظائف الطبيعية لقناةاستاخيوس هذه هو المحافظة على تعادل الضغط الهوائى بداخل الأذن الوسطى مع ضغط الهواء المحيط بنا . والمسلك الوحيد الذى يمكن أن ينفذ منه الهواء الى الأذن الوسطى هو قناة استاخيوس . والان اذا فرضنا أن لحمية الأنف تورمت وسدت قناة استاخيوس ، فان الهواء لا يدخل الى الاذن الوسطى ، ويصبح ضغط الهواء على داخل الطبلة أقل من الضغط الهوائى خارجها ، فيدفع ضغط الهوائى الخارجى الطبلة الى الداخل ، وعند ذلك تصابين بما ندعوه انكماش الطبلة .

وهذا الصنف من الصمم الذى ينجم عن تورم لحمية الأنف ليس من نوع الصمم الذى يهمك أمره عادة بالنسبة إلى طفلك . فان الطفل الذى يصاب بنقص فى سمعه من جراء تورم لحمية الأنف يكون ضعيف السمع فقط لا أصم صما تاما .

ونحن نعالج هذه الأورام الأنفية عادة باجراء عملية جراحية واستئصالها ، مخلفين هناك بعض النسيج . أو يمكننا معالجة أورام لحمية الأنف هذه بالراديوم أو أشعة أكس . والعلاج بالراديوم أو اشعة أكس يجعل هذه الأورام تنكمش أو تتقلص فقط بحيث لا يسد قناة استاخيوس بعد ذلك . ولكن لا تنظرى إلى هذه الوسائل كشاف من الصمم : أذكرى أن هذا الصمم التوصيلى ليس من نوع الصمم الذى يعنيك أمره .

ويوجد نوع آخر من نقص السمع يبدأ من الاذن الوسطى . فان العظمة الثالثة أو الركاب مركبه فى فتحة على داخل تجويف الأذن الوسطى ، وحول

هذه الفتحة سائل يعرف باسم اللحف الخارجى . وهذه الفتحة تؤدى إلى الأذن الداخلية . وقد يحدث احيانا أن تتصلب العظمة المحيطة بهذه الفتحة وتقيد حركة عظيمة الركاب ، ولعلك سمعت عن « تيبس عظام الأذن » . ونحن ندعو هذا المرض الأوتوسكليروس . وإنا لنعرف من أمر هذا المرض أنه لا يصيب صغار الأطفال كثيرا بل يبدأ عادة فى سن السادسة عشرة ، وهو أكثر شيوعا بين النساء منه بين الرجال . وهذا المرض يغلب فيه أن يكون وراثيا ، أى أنه يحدث لأعضاء الأسرة الواحدة . وهو أيضا إذا بدأ أخذ فى التفاقم والازدياد .

ولو تحسست خلف أذنك لوجدت عظمة ؛ وهذه العظمة لم تكن موجودة عندما ولدت بل نمت بعد ذلك . ولو تهيأ لك أن تفصيلها لوجدت أنها تشبه قرص العسل . ولقد تكونت ونمت كما ينمو قرص العسل ويتكون ، خلية خلية ، ونحن نسمى هذا الجزء العظمى الذى يحيط بالأذن النتوء الحلمى ، وهو متصل بالأذن الوسطى أيضا . وهذه النتوء مما يجب أن تعنى به إذ أصيبت بعدوى بالأذن الواسطى ، اذ ان الاصابة إذا امتدت إلى هذه الخلايا التى تشبه قرص العسل لأصبت بما ندعوه التهاب النتوء الحلمى .

والتهاب النتوء الحلمى فى ذاته قد لا يكون شيئا خطيرا ، فكثير من الناس يبرأون منه ، ومن الممكن أن يعالج بالطرق الجراحية . ولكنك إذا لم توليه العناية اللازمة والعلاج الصحيح ، فمن الممكن أن يتعقد ويتضاعف ، وهذه المضاعفات تحدث كثيرا من التعب والعناء . فمنها نوع من الالتهاب السحائى . والذى يحدث هو أن بعض الصديد من النتوء الحلمى أو الأذن الوسطى يتسرب من احدى الثغرات . ولا تنس أن المخ هناك تماما ، فوق الأذن الوسطى ومن الممكن أن يؤثر هذا الصديد على غشاء المخ .

ومن الاصابات التى يمكن أن تنجم عن اصابة بالأذن الوسطى شلل الوجه . فان عصب الوجه متصل بجدار الأذن الوسطى بقرب النتوء الحلمى تماما . فاذا

التهب هذا العصب من جراء اصابة بالاذن الوسطى ، فقد يعجز هـذا العصب عن المساعدة على حركة عضلات وجهك .

الاذن الداخلية ـ تناولنا حتى الآن الطريق التى يسلكها الصوت من الاذن الخارجية مارا بالقناة السمعية ، ومجتازا المطرقة والسندان والركاب ، إلى مادعوناه الاذن الداخلية . والآن فلنتكلم عن الاذن الداخلية ، فان هناك يحدث معظم ما ندعوه السمع .

رأينا مما تقدم ان عظيمة الركاب التى فينا تتصل بالباب إلى الاذن الداخلية . و بداخل هذا الباب أو الغشاء يوجد سائل اللمف الخارجى الذى تكلمنا عنه . وهذا السائل يملأ الأذن الوسطى والاذن الداخلية وتحدث تموجات بالسائل . وهذا السائل محوط بصندوق عظمى صلب ثقيل ، وهذا الصندوق العظمى الصلب هو فى الحقيقة الذى يحمى الاذن الداخلية وهو أول عظمة فى الجسم تتكون كامل التكوين كعظم صلب ، ولو أنك عرضت طفلك لأشعة أكس لوجدت أن هذه العظمة تبدو أوضح ماهنالك جميعا . و بداخل هذا الصندوق قناة أخرى تحوى سائلا آخر يسمى باللمف الداخلى .

و يوجد بالاذن الداخلية ممر يشبه كثيرا السلم الحلزونى ، وهذا الممر يسمى القوقعة . راجعى الرسم التخطيطى كى ترى موضعها وشكلها . وعلى هذه القوقعة الحلزونية الشكل آلاف وآلاف من الاعضاء الصغيرة التى تشبه الى درجة كبيرة مفاتيح البيانو وتسمى أعضاء كورتى وهو الاعضاء التى تساعدك على السمع . وهى لاتشبه مفاتيح البيانو فحسب ، بل ان عملها ليشبه عمل مفاتيح البيانو قليلا . و بدلا من أن تكون متصلة بأسلاك ، فان أعضاء كورتى هذه متصلة بشعر دقيق . وهذا الشعر يؤدى إلى عصب ينفذ مباشرة من وسط القوقعة الحلزونية ويتجه إلى المخ . فاذا ماحركت

احدى التموجات الحادثة بسائل اللمف الخارجى واللمف الداخلى أعضاء كورتى هذه ، صدرت رسالة بواسطة الشعرات إلى العصب ثم انتهت الى المخ . وإذا كان كل جزء يؤدى مهمته أداء سليما فانك تسمعين .

والعصب الذى يخرج من القوقعة ويتجه إلى المخ ليس فى الحقيقة إلا نصف عصب ، وهو جزء من العصب السمعى . ولهذا العصب السمعى فرعان يسمى أحدهما الفرع القوقعى (وهو الفرع الذى كنا نتكلم عنه حتى الآن) ويسمى الآخر الفرع الدهليزى . وعليك أن تذكرى اننا قلنا آنفا ان للاذن وظيفتين ، هما أن تساعدنا على السمع ، وأن تساعدنا على الاحتفاظ بتوازننا . وقد تحدثنا عن كيفية مساعدتها لنا على السمع ، وأن الفرع القوقعى للعصب يقوم بذلك والآن فلنتحدث كيف تساعدنا الأذن على الاحتفاظ بتوازننا ، وهذا هو ما يعنينا على عمله الفرع الدهليزى للعصب .

ترين فى الرسم التخطيطى ثلاث دوائر صغيرة فى رأس الجزء المؤشر عليه بأنه الأذن الداخلية . ومن العسير الوقوف على ذلك من الرسم ، ولكن كلا من هذه الدوائر لها موقع مختلف من حيث المسافة . وهذه الدوائر ، أو على الأصح نصف الدوائر ، هى ما نسميه القنوات الهلالية . وهذه القنوات الهلالية عبارة عن أنابيب مملوءة بالسائل ، وتتصل بها شعرات صغيرة . وهى تساعدنا على تحديد توازننا ، وهى جميعا متصل بعضها ببعض وتتحرك الشعيرات بينما يكون السائل نسبيا . وهذه الحركة تنشط الفرع الخاص بالدهليز بالعصب السمعى فتتأثر مخك .

ان هذه القنوات الهلالية تخبر مخك بالوضع الذى تكونين عليه فيما يتعلق بالخير ، وهى تخبر مخك ما إذا كنت واقفة برأسك إلى أعلى أم فى وضع معكوس ورأسك إلى أسفل .

مثال ذلك انك بلا ريب ركبت فى بعض تلك القطارات الموجودة بحدائق الملاهى ولاحظت كيف يعتريك الدوار . أو لعلك خبرت كيف يصب الماء فى

أذنك حين يعتريك الدوار . ويحدث هـذا الدوار للافراط فى تهييج أو تنبيه السـائل الموجود بالأذن وعدم تلقى المخ الرسائل الصحيحة تماما من القناة الهلالية .

ماذا تفعل الإصابة ؟ : يحدث فى بعض الأحيان أن يتلق السائل الموجود بالجهاز القوقعى عدوى . وإذا حدث ذلك فان الأذن الداخلية لا تؤدى مهمتها كما ينبغى ، إذ يتـكون نسيج ندبى غليظ نتيجة للالتهاب . وفى وسعك أن تفهم ما يحدثه هذا النسيج الندبى إذا تصورت شخصا يصب الأسمنت على مفاتيح معزف (بيـانو) . فسوف تتيبس مفاتيح المعزف ولا يمكن أن تتحرك . وهذا هو عين ما يفعله هذا النسيج الندبى بأعضاء كورتى الصغيرة ، ولعلك تذكرين ان هذه الأعضاء تشبه مفاتيح البيانو إلى حد كبير ، وانها يجب أن تتحرك قبل أن يتهيأ لنـا أن نسمع . ومثل هذا هو ما يحـــدث بالالتهاب السحائى للعمود الفقرى .

وليس ثمة أية سـبيل إلى عمل شىء لاسترجاع ما فقدته فى سمعك من جراء اصابات الأذن الداخلية ، فان القوقعة ليست إلا ثلاثة أرباع البوصة فى الحجم ، وليس فى مقدورنا أن ننفـذ إليها بالأدوية أو الأدوات الجراحية ، فكل تلف يعتريها لا يمكن إصلاحه وتلافيه .

ولننظر الآن ما يحدث عندما يصاب سـائل القناة الهلالية . ان أعضاء الحس الدقيقة يتعطل عملها بما لا يختلف كثيرا عن هذا النحو (وفى نفس مرض الالتهاب السحائى) ، فتشعر فى المراحل الأولى بدوار دائم . وبعد ذلك عندما يتم التلف النهائى يصبح فى وسعك أن تدور كما تشاء فى ركبات حدائق الملاهى دون أن يعتريك الدوار . ولكن لا تنسى انك إذا كنت لا تدور فى إحدى حدائق الملاهى

إذا كنت تحاول أن تسير فقط على النحو الطبيعى ، فانك تترنح كالشارب الثمل . انك تفقد كل توازنك العادى أو احساسك بالتوازن .

المهمة الرئيسية للاذن هى مساعدتنا فى حاسة السمع ، وهى ليست إلا واحدة من الحواس الخمس . وفى الجسم الذى تقوم به هذه الحواس الخمس بأداء وظائفها أداء صحيحا ، فانها تعمل معا كأعضاء اتحاد . والطفل الأصم هو شخص فقد أحد أعضاء الاتحاد ، ولم يبق له إلا أربع حواس هى بصره وشمه ولمسه وذوقه . والعجيب فى الجسم البشرى انه يستطيع أن يعمل على وجه حسن جدا بدون أحد أعضاء الاتحاد ، وإنما يزداد العبء الملقى على عاتق الأربعة الباقين .

والآن قد أعطيناك صورة لما تبدو عليه الأذن من الشكل ، وكيف تؤدى وظيفتها ، كما أظهرناك على شىء مما يكون باذن الشخص الأصم من علة وسبب اعتلالها . وتوجد كما ترى أنواع عديدة من الصمم ، فاذا قلت « ان طفلى أصم » فان هذا لا يعنى ان العلة فى صممه هى علة صمم طفل سواه . فقد يكون الجزء المصاب من أجزاء الاذن التى تحدثنا عنها فى حالة ما مختلفا عن الجزء المصاب فى غيرها . واعتقادى إنك حين تعرفين ذلك ، فسوف يعنيك على صحة النظر والفهم فيما يتعلق بالعلاج الذى يعالج به طفلك .

إمضاء عبد الفتاح سامى

معلومات عن أجهز السمع

إن أجل ما نريد أن نقــدمه إلى الأطفال الصم هو السمع ، وجهاز السمع يتيح لـكثير من الأطفال الصم أن يسمعوا .

وفى وسعك أن تستشير الاخصائيين فى انتقاء واستعمال أجهزة السمع ، وغنى عن البيان أن من واجبك الانتفاع بمعونة أولئك الخبراء ، ولـكن من الواجب فى الوقت نفسه أن تـكون ملما بالحقائق مطلعا عليها . وما نخشى أن نقول انك إذا كنت مطلعا على الحقائق ملما بها كان فى ذلك أعظم ضمان لحصول طفلك على المســاعدة المنشودة . فيجب أن تـكون على علم بما تتطلبه فى جهاز السمع ، كما تعلم ما تتطلبه فى موقد غاز أو ثلاجة ســواء بسواء . ولذلك نقدم إليك هنا بعض المعلومات الأساسية عن أجهزة السمع .

ما هو جهــاز السمع وكيف يقوم بعمله ؟ جهاز السمع هو أداة كهربائية تزيد أو تضاعفت من الصوت الذى يصــل إلى الأذن . ويجب تجهيزه بحيث يزيد من قوة الأصوات التى تـكتنفنا إلى درجة أن تؤثر هـذه الأصوات حتى على الحساسية المخفضة لمن يدعون بالأشخاص الصم أو ثقيلى السمع .

ويتألف جهاز السمع من ثلاثة أجزاء أساسية :

(١) الميكروفون ، وهو الذى يستقبل الصوت .

(٢) المـكبر وهو الذى يضاعف الصوت .

(٣) RECEIVER (السماعة) وهى التى تقدم الصوت بعد تكبيره إلى الأذن

وهناك عدا ذلك طبعا الحبال الموصلة ومصدر القوة الـكهربائية التى تستمد من بطاريات إذا كان الجهاز مما يلبس ، أو من وصلة بأفيش بالحائط إذا كان من نماذج المنضدة .

وإذ شئنا أن يؤدى جهاز السمع مهمته تمام الأداء ، فيجب أن تتوفر فيه صفات أساسية معينة :

(١) يجب أن يكون به من القوة ما يحمل الصوت الذى يصل إلى الأذن من الكبر بحيث يفيد منه الطفل .

(٢) يجب أن يكون فى وسعك السيطرة على تلك القوة والتحكم فيها .

فان القوة التى لا سيطرة عليها يمكن أن تحبط جميع المقاصد التى يرمى إلى تحقيقها جهاز السمع . فالصوت يمكن أن يكون مسرفا فى الارتفاع إلى درجة تحدث وخزا أو انزعاجا عاما أو ألما بالأذن التى ليس بها من قوة السمع غير بقية ضئيلة كما يفعل بالأذن السليمة تماما . ومن المجازفة الافتراض أن الأصوات المرتفعة جدا لن تضايق الطفل الذى لا يستطيع سماع النغمات الهادئة من الكلام . فان الأصوات المرتفعة قد تكون مزعجة للطفل المصاب بصمم عصبى ، كما تزعج ذا السمع السليم تماما ولو لم يستجيب للكلام على الإطلاق . وأسوأ من هذا أن صدور الصوت الذى لا سيطرة عليه من جهاز السمع قد يبعث الطفل على الخوف ومقاومته .

والصوت المسرف فى الارتفاع عديم الجدوى كالصوت المسرف فى الانخفاض سواء بسواء . فما الذى يحدث إذا جاءك شخص من الأشخاص وصب حديثه صبا فى أذنك مباشرة ؟ انك لا تشعر بالضيق والتبرم من جراء ضغط الصوت فحسب ، ولكنك تلفى نفسك عاجزا تمام العجز عن فهم ما يعنيه ذلك الشخص والنقطة التى يغدو عندها الصوت مبعثا للضيق والتبرم تسمى مستوى الاحتمال ، ومن المهم جدا فى اختبار السمع معرفة مقدار قوة الصوت التى يستطيع الشخص أخذها ، كأهمية الوقوف على مدى القوة التى يجب توفرها فى الصوت حتى يتيسر سماعه . وعمق ما لدى الشخص من السمع المفيد أو مقداره يكون بين النقطة التى

يبدأ عندها احساسه بالصوت ، والنقطة التى يتحول عندها الصوت إلى مصدر للضيق والانزعاج . وبين هاتين النقطتين منطقة تسمى نطاق الارتياح لذلك الشخص المعين .

ومن حسن الحظ انه يحدث أن بعض الناس بعد ممارسة الصوت يتعلمون كيف يحتملون المزيد من القوة . ونطاق الاحتمال يختلف باختلاف الأشخاص، كما أن أجهزة السمع المختلفة تهيء نطاقات لقوة الاحتمال تختلف لكل شخص عن سواه .

(٣) يجب أن تكون فى جهاز السمع الدرجة الصحيحة لاستجابة التردد : —

ما هى استجابة التردد ؟

ان ما نسميه « الصوت » هو أثر جزئيات متذبذبة أو مهتزه فى الهواء . وطبقة الصوت يحددها عدد ذبذبات أو اهتزازات جزئية الهواء فى الثانية الواحدة . فاذا تذبذبت أو اهتزت جزئية الهواء ١٦ مرة فى الثانية مثلا سمعنا صوتا منخفضا جدا . أما إذا اهتزت بدرجة أسرع فاننا نسمع صوتا أعلى . وذوو السمع الجيد يسمعون الذبذبات التى تتراوح بين ١٦ فى الثانية و٢٠٠٠٠ فى الثانية . فاستجابة التردد إذن تعنى هذا النطاق بين أعلى وأدنى النغمات التى تستجيب لها آذاننا .

واستجابة التردد فى الأذن غير السليمة تكون فى العادة محدودة إذ تكون ثمة طبقات لا تستطيع سماعها طبعا . واستجابة التردد بجهاز السمع محدودة أيضا لأنه لا يستطيع نقل جميع الطبقات الموجودة . وهكذا فان جهاز السمع مفيد فقط فى حدود نطاق استجابة التردد الذى صنع من أجله . وأجهزة السمع المختلفة لها نطاقات مختلفة .

على أن ذوى السمع المصاب ليسوا فى حاجة إلى سماع كل ما يوجد من الطبقات لكى يفهموا الكلام ، لأن الكلام لا يستعمل جميع هذه الطبقات .

وهنا يعرض لنا هـذا السؤال : ما حد الضعف الذى يمكن أن يوجد فى سمعنا ويكون فى وسعنا مع ذلك أن نسمع شيئا من الكلام ؟ أو — بالنسبة إلى أجهزة السمع — يمكننا أن نلقى هـذا السؤال فى صيغة أخرى : ما مقدار سعة النطاق الذى يجب أن يتوفر فى جهاز السمع لكى يكون أعظم فائدة للطفل ؟

اننا نعلم أن البالغ الذى كان يتمتع بسمع جيد قبل أن يبتلى بالصمم يستطيع الإلمام بما يقال له إذا كانت به قوة سمع من تردد ٥١٢ إلى ٢٠٤٨ . وعلى ذلك فان جهاز السمع الذى يحمل نطاق التردد هـذا إليه يكون وافيا بالغرض . ولكن ليس لك أن تظن أن جهاز السمع الذى يقوم بعمله للبالغ يمكن أن يؤدى وظيفته إلى الطفل الذى يجب أن يتعلم أولا تبين الأصوات والكلمات والإلمام بها .

وفى عبارة أخرى يكفى أن أرى جزءا من عشرة من باب لكى أستطيع أن أنبئك اننى أرى بابا لأنى رأيت قبل ذلك أبوابا . ومثل هذا صحيح بالنسبة إلى البالغ الذى كان يتمتع بسمع جيد قبل أن يصاب بالصمم . انه ليس فى حاجة إلى سماع كل كلمة أو كل صوت من جملة ما لكى يكون فى مقدوره الإلمام بمعنى تلك الجملة . ولكنى إذا لم أكن قد رأيت بابا من قبل ، ولم أر الآن سوى جزء من عشرة من باب ، فلن يكون عندى أى أساس لكى أعرف أن الجزء من عشرة الذى أراه قسم من باب ، إذ أننى فى هذه الحالة لا معرفة لى بالأبواب . ومثل هذا ينطبق تماما على الطفل الذى لا عهد له قط بالكلمات والأصوات من قبل . فاذا لم يسمع سوى جزء من جملة ، فليس لديه أساس لمعرفة ما تنطوى عليه الجملة كلها .

ورغبة فى الإيجاز نقول انك أشد حاجة إلى الرؤية الكاملة أو السمع الكامل لكى تتعلم ما هى الأبواب أو الكلمات ، مما لو كنت قد ألفت

الأبواب أو الكلمات وخبرتها . وبالنسبة إلى الأطفال بوجه عام فإنك فى حاجة إلى جهاز حساس للطبقات من ١٠٠ ذبذبة فى الثانية إلى ٤٠٠٠ ذبذبة فى الثانية . أجل أن لدى كثير من الأطفال نقصاً فى السمع لايمكنهم من الانتفاع بهذا النطاق الإجمالى ، ولكن ليس فى وسعنا التحقق على وجه التأكيد واليقين من مقدار النقص فى سمع الأطفال ، وأدعى إلى الحيطة وأمن الخطأ أن نبالغ فى التقدير من أن نهبط به إلى ما قد يكون دون الحقيقة والواقع .

(٤) يجب أن يتوفر فى جهاز السمع « الصدق » أو « حسن الأمانة » .

أن جهاز السمع يكون على درجة رفيعة من الأمانة عندما يكون الكلام الذى يأتى فى السماعة مفهوماً كالكلام الذى يستقبله المكروفون ، وتختلف أجهزة السمع اختلافا كبيراً فى صفة الأمانة هذه ، بيد أن درجة الأمانة إذا لم تكن رفيعة فلن يكون لطفلك أساس قوى لتعلم الفهم والكلام .

وبالإجمال ، فاننا نطلب جهاز سمع تتوفر به (١) الكفاية من القوة ، (٢) السيطرة على القوة ، (٣) استجابة تردد واسعة النطاق ، (٤) درجة حسنة من الأمانه .

هل ينبغى أن نحصل على جهاز سمع يلبس أم على جهاز مائدة ؟ أن فى الطراز الذى يلبس من أجهزة السمع ميزة واحدة هو أنه يهيىء للابسه السمع معظم اليوم . بينما طراز المائدة لايستعمل إلا خلال فترات معينة . على أنه يغلب من الناحية الأخرى أن تكون بجهاز المنضدة قطع أفضل لأنه لايخضع لما يخضع له الجهاز الذى يلبس من قيود الحجم والوزن . وإذا كانت القطع أفضل ، فانها تتضمن قوة أوفر ونطاق تردد أوسع .

على أن إمكان وجود قطع أفضل بجهاز المائدة ليس ضمانا لوجودها فيه بالضرورة . وخير ضمان للنجاح فى الشراء هو أن تكون عارفا بما تريد .

كيف أعرف ما أريد ؟ أن جهاز السمع الذى يلبس هو أدق أداة بوجه عام ، لأنه يجعل عادة بحيث يلائم الصفة الخاصة لنقص سمع الطفل الذى يستعمله، وهناك اختلافات شخصية بين كل فرد من ذوى السمع الضعيف وسواه ، فبعضهم يسمع أصواتا معينة ، وبعضهم يسمع سواها . فامكان ضبط جهاز السمع الذى يلبس بحسب تلك الفروق الفردية يمنحه ميزة بارزة .

ولكننا لا نعرف فى العادة على وجه يوثق به ما هى الأصوات أو الطبقات التى يسمعها الطفل الصغير جدا من ضعاف السمع أحسن من سواها .

فمن الحكمة بالنسبة الى الطفل الصغير جدا أن نوصى عادة فى أول الأمر بجهاز من طراز المنضدة تتوفر فيه الصفات الأساسية الأربع التى ذكرناها . ولما كان جهاز المنضدة أكثر قوة وأوسع نطاقا لاستجابة التردد، فانك بذلك تكون واثقا من تهيئة أحسن فرصة أمام طفلك لسماع الأصوات التى يحتاج اليها كل الاحتياج لتعلم الكلمات واللغة .

وبعد الاختبار الطويل بجهاز المنضدة ، تستطيع أن تتقصى حاجات طفلك الفردية فى دقة أوفر ، وتحصل له فيما بعد على جهاز من الطراز الذى يلبس يلائم حاجاته السمعية الخاصة .

من الذى يتعين حصوله على جهاز للسمع ؟ توجد أجوبة عديدة لهذا السؤال . عمن يتعين عليه أن يحصل على جهاز للسمع . والسبب فى تعدد الأجوبة وكثرتها هو أنه لم يستطع أحد حتى الآن أن يثبت أن جوابا منها صحيح مطلق الصحة .

فقد يحدث أحيانا أن يقول أحد الثقاة مثلا أن الأطفال الذين كبروا الى الدرجة التى تمكنهم من مراجعة البطاريات والعناية بوقاية جهاز السمع من التلف هم الذين يجب أن يقتنوا هذه الأجهزة .على أن هذا الجواب يدل على اهتمام بجهاز السمع أكثر من الاهتمام بالطفل .

وفى الاجابة عن هذا السؤال من وجهة نظر الطفل ، يحسن عدم التفكير أولا فى المصاعب والعقبات ، بل التفكير قبل كل شىء فيما يزيد برغم المصاعب ثم نواجه المشاكل الخاصة فيما يتعلق بتزويد الطفل بما يحتاج إليه .

والطفل السليم يستخدم سمعه كثيرا فى السنة الأولى من حياته ، فيتعلم فى أول الأمر أن هناك شيئا كالصوت ، ثم يتعلم تدريجيا أن أغلب الصوت لامعنى له ولكن أصواتا معينة شديدة الأهمية بالنسبة اليه . وسرعان ما يتعلم كيف يتعرف هذه الأصوات الهامة وكيف يتجاهل الأصوات التى لا معنى لها . فاذا فكرنا فى الطفل ، كان علينا أن نتيح له السمع حتى فى سنته الأولى اذا استطعنا أن نعرف فى تلك المرحلة أنه لايسمع جيدا . وهذا هو السبب فى قولى أن جهاز السمع الذى يثبت أنه أجزل نفعا وأطول بقاءاً وأكثر اقتصادا فى أول الأمر هو جهاز من طراز المنضدة من نوع رفيع .

وسنواجه فيما يلى المشاكل العملية :

(١) ابقاء السماعة فى مكانها — يجب أن تكون لديك سماعة لكل أذن ويجب أن تثبت فى مكانها بعصابة راس ثابتة تمر فوق رأس الطفل . والسماعات إذا ركبت غير مستقرة تسرب منها الصوت وعاد الى الميكروفون فيحدث فجأة صراخ مزعج يمنع فهم الكلام . أما اذا كانت عصابة الرأس مستقرة ثابتة ، وإذا كانت على السماعات سدادات من مطاط الاسفنج ، فانه يمكن منع هذا الصراخ أو الارتداد .

(٢) منع الطفل من جذب الحبال وعصابة الرأس — أن الأعباء والمعوقات الجديدة أشد الأشياء ازعاجا للصغير ، وجهاز السمع الجديد لا يكون فى أول أمره الاعبئا جديدا عليه . ومن الطرق الحسنة لاعداده للتدريب على جهاز السمع أن تجعليه يلبس سماعات صورية أثناء لعبه ، وفى وسعك أن تستبدلى سماعات الأذن بقطع

من الخشب حتى يألفها ثم تلبسيه السماعات الحقيقية عندما يكف عن جذب قطع الخشب .

(٣) تبين ما إذا كان لدى الطفل من السمع ما يكفى لجعل جهاز السمع ذا فائدة .

أنه ليكون من المقامرة دائما ما إذا كان إلباس طفل صغير جدا جهازا للسمع يعود عليه بالفائدة أم لا يجديه شيئا. على أن كل شيء تفعلينه للطفل الضعيف السمع ينطوى الى حد ما على مقامرة . وجميع العاملين بالعيادات والمعلمين يعرفون أطفالا كان المظنون أنهم صم تمام الصمم أو أنهم على الأقل أشد صمما من أن يجنوا فائدة من استعمال جهاز للسمع، ثم تبين بعد ذلك أن لديهم قوة سمع يمكن استعمالها والافادة منها.

فاذا فكرت من ناحية مصلحة الطفل وخيره ، كان الاقدام على المقامرة لازما فى كل حاله يبدى الطفل اهتماما أو ادراكا للصوت .

وعليك طبعا إذ رأيت الاقدام على هذه المقامرة وتزويد طفلك بجهاز للسمع، أن تدربى الطفل بانتظام على استعماله. وهذه مهمة على الوالدين الاضطلاع بها ، أما جهاز السمع فلا يستطيع أداءها من تلقاء نفسه .

كيف تدربين طفلك على الاستماع بجهاز السمع — لقد جاء الينا الأستاذ سامى وقرينته عند زيارتهما لهذه البلاد فى سنة ١٩٤٦ بكثير من الآراء المفيدة عن كيفية تدريب صغار الأطفال على السمع . ومن أحسن ما أوضحاه أن الطفل لن يتهيأ له تعلم اللغة إلا إذا كان ثمة اتصال مستمر أثناء تعلمه أياها . ولم يعنيا بذلك الاتصال من جانب واحد . فاذا تحدثت الى طفل من الأطفال حديثا وهو منصرف عنك غير مكترث ، فانك تكون قائما باتصال من جانب واحد . ولا يمكنك ايجاد اتصال من جانبين إلا إذا كان لدى الطفل من الرغبة والاهتمام ما يوحى إليه بالرغبة فى الاستماع اليك والرد على كلامك. فعليك أن تنتظرى حتى يسنح موقف الاتصال من جانبين ، وليس فى امكانك أن توجدى هذا المركز عنفوة واقتدارا .

وهاك مثلا ما وقع أخيرا أثناء زيارتى لاحدى مدارس الصم. فقد اندفع الى الغرفة طفل صغير راغبا فى أن يرى المعلمة حذاءه الجديد . كان الطفل متلهفا الى الحديث عن حذائه ، واتفق أن كان بتلك الغرفة قاعدة مرعية تقضى بأن يكون أول ما ينطق به الطفل تحية الصباح ، فقاطعت المعلمة الطفل مصرة على أن ينطق بكلمات التحية . وحاول الطفل مرارا أن يقول « صباح الخير » حتى استقام له النطق بها وأومأت له المعلمة محفذة . ولكن حماسته بعد ذلك كانت قد فترت وتلاشت ، وفقد لهفته إلى التحدث عن حذائه الجديد (وهو الشىء الذى كان يبغى الكلام عنه) فلم يحاول من جديد أن يتحدث عنه .

كانت قاعدة « صباح الخير) قاعدة حمقاء فى هذه الحالة ، وكان يجب أن يسمح للطفل بالكلام عن حذائه الجديد ، وكان يجب أن تنتهز الفرصة لتمرينه على قراءة الشفاه عن الحذاء أو يتلقى تدريبا فى استعمال جهاز السمع لسماع شىء عن الأحذية ، اذ كانت الأحذية هى ما يطلب عنه .

ولكى تعلمى طفلك أن يقوم بأمر من الأمور ، يجب أن تستعملى المواقف الملائمة لذلك عندما تسنح . ولهذا السبب فانك باعتبارك أما تستطيعين عادة أن تفعلى أكثر مما تملك المعلمة فعله ، لأنك أطول اتصالا بأطفالك .

وكثيرا جدا ما ينصرف تفكيرنا الى اختبار كبار الأطفال فى التعليم حين نفكر فى التعليم . ونتيجة لذلك فاننا نحاول فى بعض الأحيان الحصول على استجابة من أطفال صغار جدا لا يزالون دون ذلك سنا . وأنه لأيسر علينا بطبيعة الحال أن نعلمهم إذا أشاروا فقط الى بعض الأشياء وأطاعوا الأوامر البسيطة . وبهذه الطريقة يمكننا أن نتعرف رغباتهم ونعرف أنهم يفهمون . ولكن ليس ثمة مبرر للاعتقاد بأنهم لا يتعلمون أولا يسمعون حينما لا يستجيبون بالكيفية التى تريدين منهم أن يستجيبوا بها . وفى حالة ضعاف السمع من صغار الأطفال

كما هو الشأن فى حالة ذوى السمع السليم منهم ، يجب أن نقنع بالغناء والكلام كثيرا دون أن نكون على ثقة من أنهم يفهمون ذلك بأجمعه .

ويقول الدكتور مختار سامى أن الجانب الأكبر من كلام الطفل السليم السمع غير اجتماعى فى السنتين الأوليين من حياته ، وان ثلثى كلامه فقط يكونان اجتماعيين عندما يبلغ الثالثه . وبعبارة أخرى فان الطفل الصغير لا يكون كبير الاهتمام بالكبار ويغلب ألا يتحدث اليهم حديثا مقصودا . ففى غضون السنتين الأوليين يمضى معظم وقته فى مس الأشياء بأصابعه ، وفى هذا خير دليل ومرشد لنا . فعندما يعكف على استكشاف شىء من الأشياء ، يكون ذلك أنسب وقت لدينا للتحدث عن ذلك الشىء بجهاز السمع . فاذا أبدى عند ذلك مقدرة على الاشارة الى لعب أو أشياء مختلفة حين يذكر له اسمها ، فانه ينبغى أن نشجع هذه المقدرة ولكن ليس لنا فى الوقت ذاته أن نتوقعها أو نحاول ايجادها كرها . ولنكن على ثقة من أن الأطفال لا يكونون مستعدين للاشارة الى أجزاء الجسم أو أجزاء الصور حتى يبلغوا الثالثة .

ويجب أن يكون تدريب الأذن طوال السنين الثلاث الأولى عرضيا غير رسمى . ويجب أن يقصر معظم اختبار الطفل على أهازيج الطفولة وأغانى الأطفال والحديث عن اللعب أو الصور أو الأشخاص كلما استرعى انتباه الطفل أحد هذه الأشياء . وكل ما يسمك عمله بعد ذلك هو أن طفلك سوف يصل عن طريق اختباره إلى ادراك أسماء ما حوله من الأشياء أو الأشخاص ، وفهم العبارات البسيطة. وإذا حاول طفلك المحاكاة والتقليد ، كان عليك بطبيعة الحال أن تشجعه ، وأنه ليغلب فى تلك الفترة أن يحاول التقليد . وليس ثمة كبير جدوى فيما أرجح فى تنظيم ألعاب مع طفلك يجب فيها أن يعطى الطفل استجابات محددة قبل أن يبلغ الثالثة أو ما فوقها .

وثمة أمر آخر ينبغى تذكره عن استعمال جهاز سمع فى تدريب طفلك على سماع الصوت . لا تجعلى أول صوت يطرق أذن الطفل مرتفعا قويا . بل عليك أن تخرجى الصوت فى أول الأمر فى المستويات المنخفضة ، ثم تحركى ضابط الحجم نحو الارتفاع فى تدرج شديد وأنت تلاحظين دائما وجه طفلك لاحتمال ظهور سمات الانزعاج عليه . وفى أثناء عمل الجهاز يجب أن تكثرى من ضبط ضابط الحجم ، لأن ما يحدث عادة هو أن الطفل مع مضى الوقت يحتمل المزيد من الحجم شيئا فشيئا .

واحذرى أن تبدو عليك أمارات القلق والاهتمام وأنت تديرين جهاز السمع . فان مايبدو عليك من الأمارات يمكن فى بعض الأحيان أن يحمل الطفل على تغيير ملامحه تقليداً لك وعند ذلك يلتوى عليك الأمر فلا تعرفين أيضايقه جهاز السمع أم لا . ولا ريب أن فى وسع الأب أو الأم أن تكون منشرحة بادية الدعة والهدوء وهى تدير جهاز السمع ، وإذا بدت على محياك سمات الرضا والارتياح ، كان ذلك أدعى إلى أن يتقبل الطفل الجهاز .

وإذا اشتريت جهاز سمع من طراز المائدة ، فعليك أن تتأكدى من أنه موصى عليه من عيادة أجهزة سمع معترف بها ، وإذا كنت على وشك ابتياع جهاز للسمع ، فيجب أن تستوثقى قبل كل شىء من أنه قد مر بسلسلة من الاختبارات فى عيادة حسنة لأجهزة السمع مثل العيادة المصرية لتحسين السمع ١٣ شارع توفيق بالاسكندرية .

كيف يتعلم الطفل الاصم الكلام

أن عقبة الصمم هى بالضرورة عقبة لغوية . وما كان فقد السمع لينطوى على هذا الأذى كله للطفل إلا بسبب هذه الحقيقة وهى أن الطفل يفقد القدرة على التخاطب لأنه لا يستطيع أن يسمع . وإن وقع صوت الأم وعزف الموسيقى البديعة وغير ذلك من الأصوات لتضفى على حياتنا

غنى وخصبا . على أنه لو كانت هذه الأصوات هى كل مايفقده الطفل الأصم ، لاستطاع مع ذلك أن يمضى فى حياته فى سهولة و يسر . ولكن الطفل الأصم يفقد أكثر من هذه الأصوات . أنه يفقد القدرة على إشراك غيره فى أحاسيسه واختباراته ، و يفقد القدرة على سماع وأحاسيس سواه ومشاطرتهم إياها . وهذه هى أهم الأشياء . فبدون هذه المقدرة ، يكابد الطفل الأصم آلام التخلف والاغفال ، ويتجرع غصص الوحدة والعزلة . ومن العسير عليه أن يتسامى إلى شخصية توفرت لها كافة الأسباب . إن هـذا الطفل محروم من نعمة من أجل نعم هذه الحياة ، وهى المقدرة على مشاركة غيره من الناس والتخاطب معهم .

ونحن نريد أن يتعلم أطفالنا الصم التخاطب واستعمال اللغة ، فلنر كيف يمكن أن يتعلموا ذلك .

كيف يتعلم الطفل السليم السمع اللغة : أن الأصوات تنصب على الطفل ذى السمع السليم من كل جانب من مبدأ حياته الواعية . فهو يسمع آلاف وآلاف المرات أصواتا تتصل بما يعمل ، و يوصلها تدريجيا فى فكره بأفعاله أو بما يقع عليه بصره يتعلم كيف يخصص الأصوات لما تدل عليه من الأشياء أو الوقائع . فمن أول الأشياء التى يتعلمها مثلا هو تخصيص كلمة « أمى » أو « ماما » للشخص الذي يطعمه و يفيض عليه المحبة والحنان . وتصبح كلمة « لبن » خاصة بشىء يحب أن يشربه . أو لعله يصل كلمة « يسقط » بسقطة تعرض لها أو رأى شخصا آخر تعرض لها . فإذا ماعرف الكلمة عرف بعد ذلك ماتتحدثين عنه حين تقولين « ماما » أو « لبن » أو « يسقط » وإن لم ير من حوله شخصا أو شيئا أو واقعة . وعند هذا الحد نقول أن الطفل يعى و يفهم .

وقد نشر الدكتور مختار سامى مايسمى « ميزانا بيانيا لتحسين لغة أطفالنا »

فى كتابه « الطفولة والنمو الانسانى » وهو يبين مايمكن أن تتوقعه على وجه معقول من طفل سليم السمع فى السنتين الأوليين من حياته .

شهر واحد — يلاحظ الصوت ملاحظة معينة .

شهران — ينتبه إلى صوت الكلام .

٣ شهور — يبدى سروراً باستعمال صوته .

٤ شهور — يضحك ضحكا مرتفعا ، ويحدث ضوضاء صوتية عندما يكون بقربه أحد وعندما يلعب وحده .

٥ شهور — يبدى لهفته وغضبه باستعمال صوته .

٧ شهور — يستعمل صوته فى إظهار الرضا بالحصول على ماينبغى .

٨ شهور — يستعمل صوته عندما يتعرف الأشياء أو الناس . يحدث أصواتا مدوية للاعراب عن الدهشة أو التحمس ،

٩ شهور — يقول « دا . . دا » أو ما يشبه ذلك . يبدو عليه الاهتمام عند سماع كلمات مألوفة .

١٠ شهور — يميل إلى محاكاة الأصوات البسيطة يعمل مستجيبا لبعض الكلمات

١٢ شهراً — تكون لديه مجموعة من كلمتين .

١٥ شهراً — يستعمل أربع كلمات ويأتى بكثير من التمتمة التى لايفهم معناها سواه .

٢١ شهراً — يصل بين كلمتين ، يكرر مايقال .

٢٤ شهراً — يستعمل الكلمات فى مجموعات .

وإنا لنعلم كما يقول الدكتور عبد العال الهنكارى أن الأمر يقتضى الطفل السليم السمع حتى يبلغ حوالى الرابعة من عمره كى يحيط بعملية الكلام كلها . وإذا كان هذا صحيحا بالنسبة إلى الأطفال ذوى السمع السليم ، ففى وسعك

أن ترى أنه ليس لك أن يتعلم طفل أصم الكلام بأسرع مما يمكن ، و إدراك ذلك خليق بأن يوفر عليك الإسراف فى الخوف والتوجس والمبالغة فى الطلب .

و إذا ماتعلم الطفل أن يفهم وأن يستبدل بالكلمات فى ذهنه ماغاب عنه من الأشخاص أو الأشياء أو الوقائع أخذ بعد ذلك يحاول محاكاة صوت الكلمة ، والنطق بالكلمة عندما يمثل فى خاطره الشىء أو الحادث الذى تتصل به الكلمة . وفى كل طفل ميل إلى المحاكاة والتقليد ، وعندما يقوم بهذا التقليد الصوتى للدلالة على المعانى ، فان فى وسعنا أن نقول نهائيا أن الطفل يتكلم و يستعمل اللغة .

كيف يتعلم الطفل الأصم اللغة : ان الطفل الأصم محروم من الوسيلة السهلة الطبيعية المتاحة للطفل ذى السمع السليم لتحصيل رموز اللغة واستعمالها . ونماذج الفكر مفقودة بالنسبة إليه ، فهو لا يتلقى ولا يصدر تعبيرا . وفوق ذلك كله ، فليس أمامه من سبيل لإدراك أن مثل هـــذا التعبير ممكن . وهذا هو أساسيا مايجعل الصمم معوقا فى الحياة .

انها مشكلة ضخمة ، ولكن لا ينبغى فى الوقت ذاته أن تخيفنا وتروعنا . ففى الإمكان قهرها وتذليلها ، والأطفال الصم يستطيعون تحصيل اللغة و يحصلونها فعلا فى شكليها الشفوى والتحريرى جميعا .

وقد لا يتعلم الطفل الأصم اللغة الشفوية دائما على ما نحبــه له من الجودة والاتقان ، بيد أن الصوت الذى يتمكن من اخراجه مهما يكن نقصه لا يمكن تقدير قيمته بالنسبة إلى الطفل . وقد لا تكون الأصوات التى يخرجها مفهومة إلا لأمه أو معلمته فقط ، ولكنها وان كانت كذلك تبدى تقدما اجتماعيا ونموا فى الشخصية واسعى النطاق ، وهى جديرة بكل تبذلين و يبذل طفلك من جهود فى سبيل تمكينه من النطق بمثل هذه الأصوات .

وفى مقدور الطفل الأصم طبعا أن يجيد اللغة المكتوبة مهما يكن مبلغ صممه .

والنجاح الذى تظفرين به فى تدريب الطفل الأصم على انماء نواحى حذقه باللغة يتوقف بصفة رئيسية على نوع التدريب الذى تقدمينه إليه وعلى الوقت الذى تقدمينه فيه . فان اللغة نمو ، ونمو منتظم كالنمو البدنى . وهناك وقت مناسب للطفل كى يتعلم أن يربط حذاءه ، وهناك كذلك وقت مناسب للطفل لكى يتعلم أجزاء معينة من اللغة . ويمكن بل ينبغى أن يبدأ التدريب مبكرا قبل التحاق الطفل بالمدرسة . وقد وجدنا أن الأطفال الذين تلقوا تدريب اللغـــة قبل الحاقهم بالمدرســة يسيرون سيرا حسنا فى فصول مؤلفة من أطفال يكبرونهم بثلاث سنين .

تعليم اللغة للأطفال الصغار الصم : يجب أن نقوم بتعليم اللغــة حالما يصبح الطفل على استعداد لذلك ، أى عندما يبدى اهتماما بها . ويجب أن نمارس تعليمها على طريقة أقرب ما يمكن إلى طريقة الطبيعة . ومادام الطفــل السليم السمع يتعلم اللغة ، فيجب أن نعلم الطفل الأصم بالطريقة عينها إذا أردنا النجاح .

وينبغى أن يكون أســاس تعليم اللغة للطفل الأصم قراءة الشفاة . يجب أن تؤدى العين ماتعجز الأذن عن أدائه . وفى وسعك فيما بعد توسيع آفاق تفكير الطفل بتعليمه القراءة الصــامتة ، وهى ناحية أخرى من نواحى استخدام العين . بيد أن هذا لا يعنى أن العين هى البــديل الوحيد الذى يجب أن نعتمد عليه ، فان فى وسعنا فيما بعد أن نستخدم حاسة اللمس ، بل ما قد يكون باقيا من حاسة السمع كائنا ما كان مقداره . ويجب بوجه عام أن نستخدم كل وسيلة فى متناولنا ، وأن نستخدم أكبر عدد من الوسائل بقدر ما يمكن حتى تكون كل وسيلة منها مساعدة لسواها . والطفل السليم السمع لا يملك الا أن يكون مغمورا باستمرار بجو من الكلام ، فيجب إذن أن نغمر الطفل الأصم باستمرار بجو من الكلام . ولن يتقدم الطفل

الأصم بسرعة الطفل ذى السمع السليم بطبيعة الحال ، ولكنه سوف يتقدم بلا ريب ، وستكون النتيجة مرضية لك وللطفل جميعا .

ليس فى مقدورنا أن نحول بين طفل من الأطفال و بين التعليم ، ولكننا نستطيع إلى درجة كبيرة أن نحدد ما يتعلمه . وفى كل يوم نرى الأطفال ذوى السمع السليم يعكسون ما يلتقطونه من بيئتهم المنزلية من اتجاهات وعادات ولغة ، وهذه حقيقة تصح أيضا على الطفل الأصم . وعلى ذلك يجب علينا أن نرفع أمامه نماذج الكلام والتفكير التى نريد منه أن يصطنعها و يتخذها لنفسه . وقد يحصل الطفل الأصم فى أول الأمر على هذه النماذج مشوبة مشوهة ، ولكنه سوف يحصل عليها عاجلا أو آجلا .

وثمة أمر آخر : ليس علينا أن نمد الأطفال بالأفكار . أنهم يكونون أفكارهم الخاصة مما يفعلون ، وأنهم ليكونون من ذلك الشىء الكثير . والذى يجب علينا أن نزودهم به هو الكلمات المعبرة عن هذه الأفكار . والطفل يتشوق أشد الشوق إلى التعبير عن أفكاره الكثيرة . والطفل الصغير الأصم يحاول الإعراب عنها و يتغلب على العقبة القائمة فى سبيله بواسطة إشارات ساذجة .

أن اللغة حذق وأداة فى وقت واحد . فهى أداتنا للتخاطب و الاتصال ، والحذق بها ينمو و يزداد بالاستعمال الدائم ، و ينبغى ألا نغفل عن هذه الحقيقة عندما نحاول تدريب الطفل الأصم على اكتساب الحذق باللغة ، فاذا كانت اللغة التى نحاول تعليمه إياها مرضية له ، فانها ستكون اللغة التى يشتاقها و يتطلع إليها وسيتعلمها فى يسر وسهولة ، ومعنى هذا هو أن نركز تعليم اللغة فى حوائج الطفل ومواطن اهتمامه . وستغدو حذقا و براعة لأن الطفل سيكون راغبا فى استعمالها ، وستكون أداة جيدة لأنها أصبحت براعة وحذقا .

ماهى مواطن اهتمام الطفل ؟ أنه مهتم قبل كل شىء بنفسه ، ثم بلعبه ، وثيابه

وطعامه ، والأشياء التى يكرر عملها يوما بعد يوم، والناس الذين يتصل بهم اتصالا يوميا . هذه هى المواد التى ينبغى أن تتركز حولها الجهود لإدراك النجاح فى تعليم قراءة الشفاه وتحسين الكلام ، فان بالطفل ميلا طبيعيا إلى التحدث عن الأشياء التى تحوز اهتمامه . فعلينا أن نمده بالكلمات التى يحتاج إليها لإخراج هذا الميل إلى حيز الوجود وانمائه ، وحذار أن نغالط أنفسنا بالظن أن فى وسعنا أن نعلم الطفل اللغة بمحض القوة والإكراه . أن اللغة التى لاتعنى شيئا بالنسبة إلى الطفل ليست أداة على الاطلاق ولا تبعث فى نفسه شيئا من الرضا والارتياح ، ولذلك لايمكن تعلمها تعلما مثمراً فعالا .

وقد وجدنا من اختباراتنا فى التعليم أن جهودنا فى سبيل بناء لغة لايهتم بها الطفل مقضى عليها من أول أمرها بالحبوط والفشل ، لأن الطفل لايرى فيها غاية . وبصفتنا معلمين يجب أن نبدأ باكتشاف مواطن اهتمام الطفل ، وأن نخلقها خلقا إذا لم نجدها ، وأن نقويها وندعمها إذا كانت ضعيفة . وبعد ذلك ، وبعد ذلك فقط ، يمكن أن ننتقل إلى تزويده باللغة المطلوبة لاشباع اهتمامه .

ما الذى تستطيع الأم عمله ؟ هناك سببان عظيمان لأهمية الأمهات الكبرى فى مساعدة الأطفال الصم على تعلم اللغة . (١) أن الطفل الأصم يتخلف مسافة بعيدة عن أخيه ذى السمع السليم عندما يبدأ حياته المدرسية ، وعلى ذلك فان مقدار مايكون قد حصل عليه من التدريب قبل التحاقه بالمدرسة يحدث بحالته تغييرا جوهريا . ومن هذا الذى يستطيع أن يقدم له هذا التدريب سوى أمه ؟ ثم أليس من الواضح البين أن التدريب يجب أن يكون وليد التروى والتدبير ، وأنه ليس فى وسعك أن تجعليه أمراً عرضياً ؟ (٢) يجب أن يحصل الطفل الأصم على تدريب فردى . أليس من الواضح البين أن التدريب الذى يتلقاه فى البيت

مع أمه هو التدريب الفردى الوحيد حقا الذى يمكن التأكد من حصول عليه ؟ أنه عندما يبرز إلى ميدان الحياة ويلتحق بالمدرسة ، سينال التدريب كجزء من جماعة .

وميزة الأم هى تشجيع الطفل على الرغبة فى التخاطب ، وهى الرغبة الضرورية جدا لنمو الطفل العقلى : ويمكن شل هذه الرغبة ، وقد شهدنا كيف يقضى عليها الترك والإهمال . فالتشجيع فى الوقت الملائم يحفظها حية نامية .

وليست ثمة مدرسة مهما يكن تخصصها أو نجاحها يمكن أن تقوم مقام البيت الصالح . فان الأم موضع ثقة طفلها ، وهو موجود معها فى كل موقف من مواقف حياته . هو معها فى مرحلة من مراحل انماء اللغة لاتتوفر للمعلمة ، وسواء أكان الطفل يأكل أم يلعب ، وسواء أكان سعيدا أم مكتئبا ، فان أمه قريبة منه . فى وسعها أن تمده باللغة الملائمة لجميع حالاته ومواطن اهتمامه .

واللغة تغدو جزءا من الموقف الذى ينجم عنه . وعندما نتكلم لا نشعر بكلماتنا بل بخواطرنا ، فخواطرنا تستدعى لغتنا طواعية . ومعنى هذا عمليا : لا خواطر بلا لغة . يجب أن يكون هدفنا مع الطفل الصغير الأصم مساعدته على الاستجابة طواعية وطبيعيا للمواقف . وما لم تكن اللغة طواعية فلن يكون فى وسعنا القول بأن الطفل قد حصل عليها . وقد نجد أنفسنا مضطرين إلى إعادة الكلمة مائة مرة حتى يستطيع الطفل أن يوحد بينها و بين الموقف بصفة قاطعة . ولكنها إلى أن يتمكن من توحيدها مع الموقف لاتزال لغتنا وليست لغة الطفل .

ويوجد أطفال فى الرابعة والخامسة من العمر لا يدركون أن حركات شفتى المعلمة يمكن أن تحمل اليهم معنى . وإنا لنعتقد فى الحقيقة أننا أحسنا صنعا حينما علمنا مثل أولئك الأطفال أن يركزوا انتباههم على فم المعلمة بدلا من عينيها . وكان لدينا أطفال يلتزمون الصمت التام ولا يبذلون أية محاولة للاعراب

عن أفكارهم بالأصوات ، فكان لزاما علينا أن نبدأ متأخرين سنتين وثلاثا بتعليم الطفل أن يتمتم ويستعمل صوته. ومن حسن الحظ أن الأطفال الذين كانت لهم ميزة تلقى تدريب منزلى حسن لا توجد لديهم فى العادة هذه المشاكل.

ارشادات عن تدريب اللغة — يجب أن يكون تدريب طفلك على اللغة عرضيا ونوعيا ، وأعنى بالتدريب العرضى أن الطفل يجب أن ينشأ فى جو كلامى سواء استجاب للكلام أو لم يستجب . وأعنى بالتدريب النوعى أن الطفل يجب أن يعطى تمارين واضحة المعالم محددة الأهداف عن قرءاة الشفاه وضبط التنفس ورجع الصوت واستعمال ما تبقى له من حاسة السمع وادراك الاهتزازات التى يحدثها الكلام .

(١) يجب أن تكون فترات التدريب قصيرة وكثيرة وسارة : يجب أن تكون فترات التمرين قصيرة حتى لا تبعث فى نفس الطفل الملل والسأم . ويجب تكرارها كثيراً جداً حتى تستقر وتتعمق . ولكن يجب أن يكون فيها تنويع وتغيير عندما تكررها ، وإلا بعثت فى نفس الطفل ما يبعثه طول الفترات من السآمة والضجر . وخير وسيلة لادخال التنويع على التدريب هى أن تربطها بمواطن اهتمام الطفل الطبيعية فى الوقت الذى تريدين تدريبه فيه . ويجب أن يكون لديك وقت ومكان معينان لاجراء تدريبك فلا تدربيه وهو جائع أو متعب أو مكتظ المعدة بالطعام ، وفى مكان خاص ترتاح اليه النفس .

(٢) استعملى للتدريب أدوات بسيطة ميسورة : أن الكتب المصورة تتيح فرصا لاحد لها لتنويع مواد التدريب ، وفى وسعك عادة أن تجدى كتبا تناسب ذلك بالمكاتب . وانى لأوصيك باستعمال أحد الكتالوجات ، فليس ثمة كتاب يحوى مثل ما تحويه الكتالوجات من صور الأشياء المألوفة .

(٣) استعملى طريقة مضاعفة فى تدريبك : انى أعنى بالطريقة المضاعفة استخدام

السمع واللمس والبصر مجتمعة فى وقت واحد . ويجب أن تستعمل هـذه الوسيلة المضاعفة بمجرد أن يصبح الطفل مستعداً لها أو لأى قسم منها . ويمكنك أن تجعليه يبدأ هذا النوع من التدريب بالنظر واللمس منذ البداية رأسا ، ثم تزيدى التدريب بعد ذلك باضافة السمع اليه ، مستخدمة ما تبقى له من قوة السمع كائنا ما كان قدره . وإنى لأ لح فى امكانك استخدام التدريب السمعى حتى مع الاطفال الصم ، فان الغالبية العظمى من الأطفال المصابين بالصم منذ ولادتهم لا تزال لهم فضلة من السمع قد لا تكفى لسماعهم أصوات الكلام ، ولكنها من الكفاية مع ذلك بحيث تكون ثمينة فى تدريب الطفل على استعمال اللغة. ومهما يكن مقدار فضلة السمع لدى طفلك ، فانها أجل قيمة من أن تهملى استخدامها ،

(٤) اكثرى من استعمال موسيقية الكلام بقدر ما يمكن : أثبتت الاختبارات بصفة قاطعة أن جانبا كبيراً من مقدرتنا على فهم الكلام يتوقف على التناسق الموسيقى للكلام الذى نسمعه . فاذا استعملنا البقية القليلة الباقية للطفل الأصم ،فان فى امكاننا تحسين مقدرته على استعمال الاتساق الموسيقى الطبيعي فى كلامه تحسينا ثابتا ، وبذلك تزداد مقدرته على حسن الابانة والافهام. ولو أن الطفل لم يتعلم سوى التلذذ بالايقاع الموسيقى ، لكان تدريبه على التنغيم حريا بما يتطلبه ذلك الجهد والعناء، لأنه سوف يتدرب على الأقل على الحصول على كل ما يستطيع الحصول عليه من الأصوات .

ولتدريب حاسة التنغيم فى الطفل يمكنك أن تستعملى جهاز السمع الكهربائى. على أنه أنه إذا تعذر أن تحصلى على هذا النوع من الأجهزة، ففى وسعك مع ذلك أن تقومى بعمل حسن لتقوية ما به من قوة السمع بواسطة احداث أصوات مجملة بأدوات مصنوعة منزليا. وسيقدم اليك الدكتور عبد العال المنكارى آراء حسنة فى تحسين التنغيم بالفصل الذى كتبه والذى سيأتى فيما بعد .

(٥) اعملى على انماء ثقة الطفل بنفسه : إن الطفل الواثق بنفسه هو الطفل الناجح

فهو الطفل الذى سيحاول القيام بالصعب من الواجبات . وأنه لواجب صعب على الطفل الأصم أن يتعلم اللغة ، وليس له من تعلمها مناص . فلابد لنا اذن من أن نفعل كل ما فى وسعنا لانماء اعتماده على نفسه وثقته بهـا . قدمى الى طفلك كل فرصة لعمل الأشياء لنفسه . أمنحيه الفرصة للتمتع بالارتياح الذى يصحب إجادة عمل من الأعمال . ومن القواعد التى يجب مراعاتها أن لا تفعلى بنفسك شيئا أبدا إذا كان فى مقدور الطفل أن يفعله بدلا منك .

وسوف يتعلم الطفل من ذلك فيما يتعلم من أشياء أخرى أن ينمى الاستقلال فى جهوده لقراءة الشفاه .

(٦) دعى الطفل يقاسمك جهوده : قدمى الى الطفل كل فرصة لاشراكك فى جهوده ونشاطه . أن هـذه المشاركة تشجيع فعال قوى لتقدم اللغـة ونموها . أفيضى عليه من الثناء والاطراء على جهوده فى أول الأمر ، لأنه فى حاجة الى التحبيذ والاستحسان لتقوية ثقته بنفسه و إقدامه . وفوق كل شىء لا يسوغ لك أن تشغلى أو تجهدى نفسك إلى درجة تحول بينك و بين منحه ما قد يتطلبه من العناية والرعاية . و إذا كان لا مناص لك من الخطأ ، فليكن خطأك فى ناحية الافراط فى التشجيع لا التقصير فيه .

(٧) راقبى السيطرة على تنفس الطفل : أن السيطرة على الصوت وثيقة الصله بالسيطرة على التنفس . ويجب أن تبدأ العناية بكليهما خلال سنى الطفل الأولى .

وكثير من الأطفال الصم لهم أصوات مرتفعة كالعواء ، أصوات لا قوة فيهـا ولا رنين . والسبيل الى إنماء قوة الرنين فى صوت طفلك هو أن تعطيه تمرينات فى ضبط التنفس وضبط الصوت ، وهى تمرينات يجب أن تـكون فى شكل ألعاب للتسلية . ويجب أن تعطيه هذه الألعاب التدريبية بمجرد أن يصبح فى وسعه لعبها .

وكلما طال تريثك وانتظارك ، كلما كانت مهمتك أشق وأشد صعوبة وأقل ثمرة .
وإذا أهملت أعطاءه هذه التمارين قبل التحاقه بالمدرسة اهمالا تاما ، وجدت أن جميع المعارف العلمية التى سوف تستعين بها معلمة طفلك على معالجة هذه المشكلة لن تكون كبيرة الجدوى . فانه لمن العسير تحطيم أغلال عاداته السيئة إذا ما بلغ الرابعة أو الخامسة .

ولا يغيبن عن بالك أنه لايوجد بصوت طفلك أى عيب أساسى . بل أنه ليحب فى الحقيقة أن يستعمله وأن جاءت الأصوات التى يخرجها خالية من المعنى . أن الشعور بالذبذبة والرنين اللذين يحدثان من استعمال الصوت لشعور مستعذب مستحسن ، فعليك أن تشجعيه على الثرثرة والضحك والصياح بملاعبته وإبداء استحسانك لضوضائه .

واليك لعبة حسنة لبناء الصوت ثبت لى أن الأطفال يحبونها . أجعلى طفلك ينطق بكلمة « آه » ويطيل فيها بقدر ما يستطيع . وعليك أن تسيرى فى الغرفة متمهلة أثناء نطقه بها ، ولكن قفى عندما يقف . وستكون تسلية عظيمة له أن يرى مدى ما يمكنه أن يحملك على السير .

(٨) استبدلى الكلام بالحركات بأسرع ما تستطيعين : أن الطفل يعمد فى أول الأمر إلى الحركات الساذجة لأنه يعبره التعبير الشفوى . وينبغى أن تبدلى الحركات بالكلام فى أكثر ما يسعك من الصبر وفى أقرب وقت تستطيعين فيه ذلك . ويجب أن تتقبلى كل محاولة قد يأتى بها للكلام مهما تكن ناقصة ، لأنها بداية حقيقية . وإذا ما تكلم الطفل بدلا من الحركة ، فعليك أن تجعليه يلتزم ذلك . وحذار أن تقبلى منه أبدا الحركة للتعبير عن تلك الفكرة بعينها . ولا بد لك طبعا أن تعرفى ماذا يحاول الطفل قوله عندما يشير ويتحرك قبل أن تساعديه

على الاستعاضة عن الاشارة بالـكلام . ومن الطرق الجيـدة للتحقق من ذلك أحضرى أو ارسمى صورة وأنظرى إذا كانت الصورة تمثل ما يحاول قوله .

(٩) لا تستعملى التعبيرات المتناقضة : قلت أننا يجب أن نتقبـل أية محاولة قد يأتى بها ليتـكلم مهما تـكن ناقصة مشوهة ولـكن لا يعنى أنه ليس علينا التزام التصميم على الصورة الصحيحة للكلمة . فان الطفل السليم السمع نفسه لا يستعمل اللغة الصحيحة فى أول أمره ولـكنه يكتسبها بالتدريج بقوة المعاودة والتـكرار . وآباء ذوى الصمم من الأطفال فى اسرافهم فى الحدب عليهم والرفق بهم يتركونهم فى الغالب يسلـكون أسهل السبل وأيسرها ، فاذا ماحصل الطفـل على صوت ظنوا فى ذلك كل الـكفاية . ولـكن هذا المسلك خليق بأن يهدم لغة الطفل بدلا من أن يبنيها و يعمل على انمائها . و إذا علمته فى يوم من الأيام أن هذه الـكلمة هى الصحيحة ، ثم علمته فى اليوم التالى أن كلمـة أخرى هى الصحيحة ، أصبح الطفل فريسة للاضطراب والارتباك ، ولم يعد يتعلم بالسرعة التى كان يتعلم بها من قبل .

(١٠) استعملى لغة بسيطة كاملة باستمرار : يستطيع الطفل الأصم أن يتعلم جملا بسيطة متعددة . وسيقتصر فى أول الأمر على تسمية الأشياء ، ولـكن لا ينبغى تشجيعه على المضى فى هذه العادة طويلا قدمى له أفـكارا كاملة ، واستعملى اللغة التى كنت تستعمليها مع طفل سليم السمع . فى مثـل سنه . وكما قالت مدام سامى « يجب أن نتكلم ونتكلم ونتكلم » ويجب أن نتكلم بلهجة طبيعية لا مبالغة فيها ولا تـكلف . وفضلا عن ذلك ، فيجب أن نعنى أشد العناية بأن نستعمل اللغة التى تـكون متعلقة بما يحدث . فاذا كان الطفل يستعمل غرفة الحمـام مثلا ، كان هذا الوقت الملائم لتعليم اللغة اللازمة فى غرفة الحمام .

(١١) استعملى الأمثلة والأفـكار المألوفة مع التـكرار : إذا استصحبت طفلك

إلى أحد المتاجر ، فأوضحى له بالصور عنـد عودتك أنك كنت واياه فى متجر .
أو ضحى له مرور الوقت بأن تبينى على ساعة الحائط كيف تحرك العقربان . قولى
« بعد لحظة يحضر بابا الى البيت » وأشيرى له على الساعة أين يـكون العقربان
عندما يعود والده الى البيت . والأطفال الذين يبلغون الرابعة والخامسة من العمر
يستطيعون ملاحظة التقويم وتعلم تعبيرات الوقت البسيطة مثل « غدا » « أمس »
« عيد ميلادى » وما إلى ذلك . ابدأى مبكرة باعطاء أوامر وأسئلة سهلة يكون
الطفل قد لقيها وسيلقاها كل يوم. مثال ذلك « ماذا حدث ؟ » « أين حذاؤك ؟ »
« أشرب اللبن » « أتريد لبنا آخر ؟ » قوليها مرة ومرة ومرة ولا تملى تـكرارها ،
فان الطفل بذلك يخضع للتعبيرات حتى تنطبع فيه . فاذا عرض له بعـد ذلك
موقف ينطبق عليه ذلك التعبير استعمله و بذلك يـكون قد تعلم اللغة .

(١٢) توقعى النجاح : أن اتجاهك أثناء تدريب الطفل لعلى أعظم جانب من الأهمية . فإذا كنت تتوقعين النجاح ، ، نجـح طفلك ، اظهرى أنك تتوقعين النجاح ، وإذا أحسن عمل شىء من الأشياء فلا تقتصدى فى ابداء استحسانك وتحبيذك . صفقى بيديك واتخذى مظاهر السرور والابتهاج . ضميه إلى صدرك ور بتى عليه فى محبة وحنان . هناك نظرية قديمة ، ولـكنها نظرية جديدة ، أنه لا يوجـد شىء أشد نجاحا من النجاح .

(١٣) لا تحاولى تعليمه قواعد اللغة بل شجعيه على المحاكاة والتقليد : أن أقصى ما يتسع له وقتك أو تتعلق به ثقتك و يقينك هو تشجيع طفلك على تقليـدك عندما تتـكلمين . دعى إنماء عناصر الـكلام وعناصر وصل الـكلام للمعلمة المدربة . أن هناك كثيراً من الـكلمات البسيطة التى لا تخلو منها عبارة أو جملة مهما كانت قصيرة يتعذر تبيان وظيفتها فى الجملة أو معناها المادى الدقيق ، وليس ثمة سوى سبيل واحد لـكى يتعلم الطفل هذه الـكلمات و يستعملها استعمالا صحيحا

هو أن يشهد استعمالهـا مرارا وتكراراً ، وأن يشجع على استعمالها هو نفسه كثيراً جدا بالمحاكاة والتقليد حتى تتسلل الى كلامه طبيعيا . لايشغلنك هـل يستعمل الـكلمة المناسبة فى وقتها المناسب أم لا ، بل شجعيه على استعمالها ، وسيكون فى إمكانه فيما بعد تعلم قواعد اللغة .

(١٤) احتفظى بدفتر مذكرات عن تقدم طفلك : أن احتفاظك بدفتر مذكرات تسجلين به كل نجاح كبير يحرزه طفلك فى تعلم الكلام ، وتقيدين فيه كل كلمة جديدة تعرفين أن طفلك قد تعلمها ، ليساعدك مساعدة لايمكن تقدير قيمتها على معرفة ما أتيح لك أنت وهو إنجازه . وسيكون عونا كبيرا لمعلمات المدرسة التى يلتحق بها فيما بعد ، وسيكون فوق هذا كله مقويا هائلا للروح المعنوية فيك وفى طفلك جميعا . سيكون فى وسعك أن تتبينى مدى نجاحك .

ماالذى تستطيع المدرسة عمله ؟ لاتقف مسئولية والد الطفل أو والدته عند التحاقه بالمدرسة . ففى كثير جداً من الأحوال يغادر الطفل مدرسته فى أجازته الصيفية وهو قادر على الكلام وقراءة الشفاه معا ، ولـكنه عندما يعود لاستئناف الدراسة لاتجد المعلمة مناصاً من تدريبه من جديد على استعمال كلامه ، إذا لم يعن أحد خلال شهور الصيف الثلاثة بحمل الطفل على ممارسة خير ما يستطيعه . فهل من عجب إذا كان تقدم الطفل بطيئا جدا .

إنى لأشدد فى توصية والدى أطفال المدارس بملاحظة تقدم أطفالهم ملاحظة متصلة . تعرفى ما يستطيع النطق به من الـكلمات ، وتعرفى مقدار مايقدر عليه من قراءة الشفاه ، وخير الوسائل للقيام بذلك أن تزورى الطفـل وتلمى بما تحاول المعلمة عمله ، وعليك بعد ذلك أن تتمى المهمة فى البيت .

كم رأينا من والدين يأتون المدرسة لاستصحاب أطفالهم فيغادرونها وهم

فى أشد الدهشة والعجب ، أنهم لم يخطر لهم ببال أن عزيز يسمع إلى هذه الدرجة أو يفهم إلى هذا الحد ، أو يقرأ فى مثل هذا الإدراك الكبير . ولتحقيق أعظم النجاح للطفل ، يجب أن يتعاون البيت مع المدرسة ويحتفظ بالطفل باستمرار فى أحسن مستوى لما يقوم به .

وإذا كان طفلك بمدرسة داخلية فلا تهملى فى الكتابة اليه كثيرا ، وأرسلى إليه هدية بين الحين والحين . فلو عرفت مدى لهفة الأطفال إلى تلقى الأنباء من بيوتهم ، وشدة خيلائهم وهم يطلعون معلماتهم على مايتلقون من الرسائل ، ولو وقفت على مايشعرون به من الترك والاغفال إذا لم ترد لهم رسائل ، لما تخلفت عن الكتابة اليهم قط . أن الرسائل مادة رائعة للمطالعة حتى ولم يستطع الطفل أن يتعرف إلا على كلمات منعزلة . وما اللغه إلا مجرد أداة ووسيلة ، أما المعلومات فأمر حيوى لاغنى للطفل عنه ، وبه من حسن الإستعداد العقلى لتحصيلها ماينمى التعلم ويقويه .

أن أطفالنا يكتبون كل يوم ، منذ يستطيعون الكتابة حتى يتقدموا فى الدرجات العليا ، وكل طفل يتطلع إلى الفرصة التى يتمكن فيها من التحدث عن بيته وما فعله والده والأماكن التى زارتها الأسرة وما إذا كانت أمه تقتنى دجاجا أم لا ، وهل شفى كلب الأسرة من آثار الحادث الذى وقع له ومئات غير ذلك من الحوادث التى قد يراها الشخص البالغ تافهة ولكنها هامة فى نظر الطفل . وهذه هى المواد التى يستعملها المعلم أو المعلمة لإنماء اللغة . إن المعلمة فى حاجة الى هذا الاتصال لإنماء شخصية ظليفة لاتشوبها شائبة ، ولما يتيحه من الفرصة لإنماء اللغة .

مضاء احمد عبد العال

كيف تعملين على نمو عقل الطفل الاصم

إن الطفل يبدأ الحصول على الاختبارات بمجرد أن يحمل به ، فهو يتلقى اختبارات حتى أثناء نموه فى أحشاءأمه . وبهذه الاختبارات يحصل على فكرة ماعما ندعوه « الاتصال بالبيئة » . وهذه الاختبارات تبعث على الراحة والرضا ، لأنها اختبارات جثمانية أو بيولوجية يستكمل بها الطفل جميع مطالبه البدنية .

ثم بعد حوالى تسعة أشهر من ذلك الاتصال المريح بالبيئة يحدث شىء ، إذ يولد الطفل .

والمولد صدمة للطفل ، إذ كان قد تعود ما يلقاه من الحماية والوقاية فى أحشاء أمه ، وكان يطعم باستمرار ويستمتع بالدفء والسعادة . ثم يسلبه فجأة هذه الراحة ، وتحف به ألوان جديدة لا عدد لها من الضغط والألم . وانى لعلى تمام اليقين من أن اختبار الولادة لا يقل صعوبة وعسرا على الطفل منه على الوالدة .

ونحن ندعو هذه الصدمة تروما الولادة birth truma ، وتروما كلمة يونانية معناها « جرح » فنحن نرى فى صدمة الولادة جرحا يصاب به الطفل . وفترة جرح الولادة فترة عصيبة لأن الوليد يدرك أن درجة الحرارة ليست تلك التى ألفها ، وأنها متغيرة غير مستمرة ولا ثابتة ، وان الطعام لا يأتيه باستمرار ، فليس يدرى ما عسى أن يحدث له . وهكذا تنبت جميع ألوان الهموم والمصاعب خلال جرح الولادة .

ولكن والدة الطفل الى جانبه لحسن الحظ ، وهى تلاطف وليدها وتحوطه بالحب والحنان ، و تطعمه وتمنحه من مشاعر الأمن والحب ما يحتاج اليه للتغلب على اختبار جرح الولادة الذى كابده عند ولادته .

ومن حسن الحظ أيضا أن الطبيعة كانت تهيىء عقل الطفل قبل مولده لكى

يستطيع الملاءمة بين نفسه وبين حياته الجديدة المروعة خارج بطن أمه . ولقد مر الطفل من قبل أن يولد بشيء من النمو العقلي ، ليس ذلك النوع من النمو العقلي الذي يخطر بأفكارنا ، بل ذلك النوع الذي يمكنه من تحريك يديه ورجليه ، وتلقي التأثيرات من العالم الخارجي ، وبعض الاستجابة بتلك التأثيرات .

وهكذا يمنح الطفل ، أي كل طفل ، عقلا قبل أن يخرج إلى ضياء هذا العالم .

والمقالات الأخرى بهذا الكتاب تمس النمو البدني والعقلي والشعوري للطفل سواء كان سليم السمع أو أصم ونريد هنا أن نركز بحثنا على النمو العقلي للطفل الأصم بوجه خاص . يجب أن نواجه الحقيقة ، وهي أن الطفل الأصم يختلف برغم كل شيء عن سواه من الأطفال .

على أنه وان اختلف النمو العقلي للطفل الأصم من نواح عدة عن نمو الطفل السليم السمع ، فيجب أن نعلم أن بين الفريقين بعض وجوه الشابه .

كيف يتشابه ذوو السمع السليم والصم من الأطفال ؟

(١) ان لهما نفس المواهب العقلية : عندما يولد الطفل الأصم فانه لايكون قد بلغ النقطة التي يعوق عندها حرمانه من حاسة السمع عمل عقله . وبعبارة أخرى فهو يكون بالقوة من حيث الفطنة والذكاء كأي طفل آخر . ومادام في الامكان نمو ذكائه وتقدمه فانه لا يختلف عن أي طفل آخر .

(٢) ان لهما نفس الرغبة في التخاطب . بالطفل الأصم كأي طفل آخر تماما نفس الرغبة في التعبير عن حوائجه والاعراب عن مشاعره . وبه رغبة في فهم سواه وبعبارة أخرى ، أنه يقظ متنبه الى ما يجرى من حوله ، ومع أنه لا يسمع كثيراً جداً مما يدور حوله من الكلام ، فانه لا يزال مهتما باستطلاع أمور الناس وكيف يشعرون من نحوه وما الذي يفكرون فيه . وتبعا لذلك ، فان الطفل الأصم يفعل ما يفعله أي طفل آخر . انه يتطلع الى الالمام بمفهومات معينة .

(٣) انهما كلاهما يريدان أن يكونا كغيرهما من الناس : ان فى جميع الأطفال ميلا الى أن يكونوا كغيرهم واحتذاء مثال سواهم . وكلما كبر الطفل ونما ، تعلم بمشابهة سواه وتقليده . ويتداخل الطفل شعور بأنه سيكون آمنا مقبولا لدى غيره من الناس ما دام قادرا على مماثلتهم ومتشبه بهم . وهو يرغب بصفة خاصة فى ارضاء والديه ومشابهتهم ، لأن والديه هما اللذان يراهما فى أغلب أوقاته ، ولأنهما كانا أكثر من سواهما عملا على تسكين الصدمة التى تلقاها عند مولده وتهوينها عليه . وبعد ذلك يقلد أقرانه فى اللعب مع تقليده لوالديه . وكلما وقع شىء من الأشياء يشعره بأنه غير مقبول لدى والديه أو أصدقائه ، اضطرب شعوره ، واعتراه القلق وعدم الطمأنينة ، وانطلق يطلب وسيلة أخرى من وسائل الاعداد والتأهيل لكى يحمى نفسه .

(٤) لهما نفس المشاعر والعواطف : ان الطفل الأصم وذا السمع السليم كليهما يشعران بالألم ويلوان اللذة . وكلاهما يحاول اجتناب الألم والسعى الى اللذة طوال محاولته الملاءمة بين نفسه وبين العالم المحيط به . وفى أغلب الأوقات يكون الطفل الأصم كالطفل السليم السمع تماما قادرا على النمو اجتماعيا . وكلما ازداد شعوره بالأمن (ولا تنسى أن الأمن هو جزء من اللذة التى خبرها قبل جرح الولادة) كان أقدر على النمو شعوريا واجتماعيا ، وهذا هو سبب اصرارنا على أن أهم ما يستطيع الوالدان عمله هو جعل أطفالهم يشعرون أنهم موضع المحبة والترحاب . ولا أحسبنى فى حاجة الى القول بأن الطفل الأصم أشد حاجة الى محبتك لكى يشعر بالأمن فى عالمه الصامت .

ولا يعنى الأمن المال بالضرورة . وثمة كثير من الأطفال الآمنين حسنى التأهيل الذين خرجوا من بيوت تبدى علائم أدنى درجات الفقر والفاقة . وهناك من جهة أخرى كثير من الأطفال سيئى التأهيل غير الآمنين ، جاءوا من بيوت فى أرفع

مراتب الثراء . فما الذى يعنيه الأمن اذن ؟ إن الأمن يصدر غالبا عن شعور الطفل بالأمن والدعة ، و بأنه مرغوب فيه لا موضع تبرم أهله ونفورهم .

فيم يختلف الصم وذوو السمع السليم من الأطفال ؟ لننظر الآن فى بعض نواحى الاختلاف بين الأطفال ذوى السمع السليم وذوى الصمم ، دون أن نتغاضى عما بين الفريقين من أوجه التشابه والاتفاق . وان الأمر لكما قال الدكتور فؤاد العشماوى « ان الصمم معوق لغوى أساسيا » و بعبارة أخرى ، ان الفرق الكبير بين ذوى السمع السليم والصم من الأطفال ليس إلا أن الأطفال الصم يجدون فى التخاطب مشكلة معقدة . أجل ان ثمة بعض نواحى التشابه بين الصم وذوى السمع السليم من الأطفال فى هذا الصدد ، كالتشابه الذى ذكرناه آنفا من أن الفريقين كليهما يرغبان فى التخاطب والاتصال ، ولكن ثمة مع ذلك فرقا . ان الطفل الأصم توجد لديه الرغبة ، ولكن ينقصه جانب كبير من المقدرة على تحقيق غبته هو المقدرة على السمع .

ونتيجة لذلك فان الطفل الأصم لا يستطيع الانتفاع بكل ما يغدقه عليه والداه من الاحاديث وعبارات التدليل والمداعبة طوال مدة وجوده بالمهد ، فهو لا يستطيع مثلا أن يتبين الفرق بين « من الخير أن تترك هذا » حين فقال بلهجة عادية هادئة . وبين « من الخير أن تترك هذا ! » حين تقال بلهجة حازمة شديدة . فان الطفل الأصم لينقصه تماما ادراك ما تنطوى عليه نغمات الصوت المتباينة من اختلاف المعانى اختلافا كليا . وانما هو يستطيع ادراك ما تعنيه اذا كانت هناك دلالات أخرى فقط كالاشارات ، دلالات يمكنه ادراكها بالبصر أو اللمس

وهكذا فان هناك اختلافا . هناك شىء ناقص مفقود . على أننا عندما ندرك هذه الحقيقة ، يجب أن تدرك فى الوقت نفسه أن الطفل الأصم لا يزال يملك حاسة

البصر وحاسة الشم وحاسة الذوق وحاسة اللمس ، وبهـذه الحواس يمكنه التعلم وانماء قواه العقلية .

وفى أوائل مراحل نمو الطفل ولاسيما الطفـل الصغير جـداً ، يكون البصر أعظم أهمية بكثير من السمع كما يعتقد معظم الثقاة . أى أن الأطفال أكثرا كتسابا للأشياء بواسطة البصر منهم بواسطة السمع ، لأن حاسة السمع تتطلب وقتا أطول مما تتطلبه حاسة البصر للنمو والتقدم . وفضلا عن ذلك ، فان الوليد الصغير يفهم ويتعلم كثيرا جدا من الأشياء من حاستى اللمس والذوق ، وهذا هو علة ما تشاهدينه من اكثار صغار الاطفال من وضع الأشياء فى أفواههم . أعطيهم قطعه ما تريهم يتحسسونها و يضعونها فى فمهم . فان الفم منطقة حساسة فيما يتعلق بحاسة اللمس عند الوليد . وما دام بالفم حاسة الذوق أيضـا : فان الطفل يتعلم شيئا عن ذلك الشىء بلمسه و تذوقه . ولا تنسى أن الطفل الأصم يستطيع استعمال تينك الحاستين كما يستعملها أى طفل آخر سواء بسواء .

وثمة أمر آخر يعترض التخاطب و يقف فى سبيله ، وهو أن الطفل يرغب فى التعبير لسواه عن ذات نفسه ولكنه لا يستطيع ذلك باستعمال اللغة العادية . فلقد حرم من سماع اللغات فهو لا يستطيع تعلمها وهو اذن ، مضطر الى استعمال وسائل التعبير الأخرى . ومعنى هـذا أنه يتخبط فى الظلام محاولا العثور على وسـيلة للاعراب عما يجول فى نفسه ، كما كنت أنت على الأرجح تتخبط فى الظلام محاولا العثور على طريقة للاعراب عمـا يجول فى نفسك بحيث يستطيع طفلك أن يفهم عنك . وأنه ليعثر فى تخبطه وتحسسه على وسائل للتعبير لم تألفها أنت ، اذ لم تدفعك الحاجة قط الى استعمالها . ونتيجة لذلك فانك تلقى أشد الجهد والعناء فى الفهم عنه

وهذا هو السبب فى أن الصمم عائق من العوائق . ان الطفل لا يستطيع استعمال مثل اللغة التى تستعملهـا أنت ، والى أن تبدأ فى فهم لغته ، فانه لا يفقد كثيرا من التقدم اللغوى فحسب ، بل يفقد كذلك كثيرا من النمو العقلى . واللغة تكاد

تكون أعجب أداة نملكها للمساعدة فى انماء عقولنا ، و بدونها لا يتهيأ للطفل انماء ملكاته العقلية ، تلك الملكات التى وجدت فيه من قبل مولده ، بمثل السرعة التى يمكنه انماء اللغة فيها .

افرض مثلا انك تحاول أن تتصور أين تنوى غرس بعض الأشجار الصغيرة حول بيتك . فلو أنك حرمت استعمال الكلام ، لكان عليك أن تفكر دائما بصور تلك الشجيرات . أما مع وجود اللغة فانك لا تزيد على أن تقول فى نفسك « سأضع شجرة الورد هنا على اليسار ، وشجرة التوت هناك على اليمين » . وهكذا . فان الطفل الأصم تعوزه أداة التفكير السريع .

مهمة الوالدين : قد يبدو لك بعد قراءة ماقدمناه عن جميع هذه المعوقات ان طفلك لا بد أن يغدو مشكلة معقدة ، ولكن هذا غير صحيح . انه غير صحيح لأن فى مقدور الوالدين أن يقوما بدور هام فى مساعدة طفلهما على تجهيز نفسه لملاءمة البيئة .

جهزى نفسك — ان أول ما تستطيعين عمله هو أن تتحققى من تجهيز نفسك . وليس هذا بالسهل اليسير ، ولكنه ضرورى كل الضرورة لخير طفلك . وعندما يكون الطفل فى طور التكوين تعلقين عليه أكبر الآمال . فاذا ما ولد واكتشفت فجأة أن به عاهة تعوق تقدمه فى الحياة على ماوصفت مدام سامى ، كان فى ذلك صدمة عنيفة هائلة لك ، ولكن عليك أن تدركى فى الحال دون أى مطل أو تسويف ان شأن طفلك غير بقية الأطفال ، ولكن ذلك ليس فى الحقيقة أمرا ذا بال ، وعليك أن تتقبلى طفلك بالرضا والترحاب سواء كان سليم السمع أو لم يكن .

يجب أن تشعرى شعورا داخليا بأنك راغبة فى مساعدة الطفل : من أهم

الأشياء لا أن تتقبلى طفلك قبولا حسنا فحسب ، بل وأن تبرزى ذلك وتظهريه ، فان الأطفال أشد من البالغين احساسا بمشاعر الناس من نحوهم . ولا تنسى أنهم يتعلمون من غيرهم ، وهم أبدا سريعون إلى تفهم مشاعر الآخرين، وهم كذلك سريعو الاحساس بما قد يعرض لوالديهم من قلق أو انزعاج حول أمر من الأمور . فاذا ما أحسوا بذلك ، انتابهم هم أنفسهم الشعور بأنهم موضع الترك والاهمال، وتولتهم الوحشة والانقباض .

ولا يكفى أن تقول الأم « سأفعل كل ما بوسعى كى أثبت لهذا الطفل انى أرحب به وأتقبله قبولا حسنا » فقد تظن مثل هذه الأم على الأرجح أنها تستطيع اثبات قبولها للطفل وترحابها به بطريقة مادية فقط ، فتعطيه دائما كل ما يريد ويطلب ، وتتلف الطفل بصفة عامة . كلا .. ليس هذا هو المطلوب ، وقد يحدث التدليل فى الحقيقة كثيرا من الضرر والاذى أما الأمر الذى يعقد به ، أما الجواب الحقيقى المطلوب ، فهو فيما تشعر به الأم فى أعماق نفسها . أتراها تشعر شعورا داخليا حقا بأنها راغبة فى الطفل ؟ إذا كانت كذلك حقا ، فسوف يشعر طفلها بذلك أيضا ، وسيشعر به أكثر كثيرا من شعوره بالمعنى الذى ينطوى تحت المنح المادية والعناية الخاصة التى قد تحوطينه بها . وبالاجمال إذا ما أقنعت نفسك بأنك تتقبلين الطفل حقا ، فلن تلقى أدنى مشقة فى اقناعه بأنك تشعرين بذلك .

لا تسرفى فى أمالك . ولا ينبغى لك كذلك أن تسرفى فى التفاؤل بما سيؤول اليه طفلك ، فانك إذا تقبلته حتما ، كان عليك أن تتقبليه على اختلاف حالاته ان خيرا وان شرا . وانى لأذكر هذا لأن كثيرا من أمهات الأطفال ذوى العاهات يفكرن فى الناحية المثالية ، ويتجهن بأفكارهن إلى الأشياء غير العادية التى أتيح لبعض ذوى القصور الطبيعى أن يقوموا بها . وقد قرأت أولئك الأمهات عن أولئك المصابين بالقصور فى القصص والروايات ، وسمعن مايروى عنهم من أخبار ، ورأين

صورهم فى دور السينما . وقد يقص على قصة طفل أصم كبير واستطاع أن ينمى فى نفسه القدرة على قراءة الشفاه إلى درجة أنه كان فى مقدوره أن يقرأ الشفاه فى سبع لغات مختلفة ، وعندذلك يفكرن «حسنا .. ان طفلك يستطيع أن يفعل ذلك أيضا » . ومن الممكن أن تكون مثل هذه القصة حقيقية صادقة ، ولكنى أؤكد لك يا سيدتى أن معظم ما يروى من أمثالها ليس إلا محض خرافات لا ظل لها من الحقيقة . أجل ان قراءة الشفاه عون كبير ، وكذلك جهاز السمع ، وكذلك استشارة الاخصائيين ، ولكن لا سبيل إلى التهرب من الأمر الواقع وهو أن الطفل الأصم طفل متخلف عن سواه ، وسيظل متخلفا دائما .

وسواء أكان هذا باعثا على الرضا أم لم يكن ، فانه الموقف الحق الذى لا مرية فيه ، وفى رأيى أن جميع الأمهات يجب أن يسلمن به إذا شئن أن يكون فى مقدورهن اسداء أية مساعدة لأطفالهن . وإذا حدثت معجزة من المعجزات وإذا تبين أن الطفل يسير فى طريق التقدم كأى طفل آخر ليست به أية ناحية من نواحى النقص والقصور التى تعوق تقدمه كان هذا خيرا . ولكن الأدعى إلى وقوع هذه المعجزة المرتجاة هو أن تسلمى بأنها لن تحدث على الأرجح وتوطنى نفسك على ذلك .

ولقد يبدو لك هذا القول غريبا متنافرا ، ولكن هاك كيف يتحقق . أنك إذا أخذت فى نصب الأهداف المستحيلة أمام طفلك ، جنحت إلى المضى فى سوقه ودفعه دفعا . وكلما بالغت فى دفعه إلى ما يتجاوز حدود مقدرته كلما اشتدت مقاومته لك . فهناك ضغط مسرف يثقله ، وهو يبدأ يشعر بالضيق الملل وعدم الارتياح وينمو فيه ما نسميه حالة القلق فينتابه التململ والضيق ويشعر أنه غير آمن . وانك لتدهشين حقا لو عرفت مقدار ما تحدثه هذه المشاعر بمقدرة الطفل على التفكير !

ويشبه هذا تماما ماشهدته يحدث لخادم بأحد المطاعم ذات مرة . كان أحد رؤسائه بقاعة الطعام ، وكان آخر من رؤسائه بالمطبخ ، وبينما كان الخادم عند الباب الذى يصل بين القاعة والمطبخ وبين يديه صحفة مليئة بالأطباق ، ناداه الرئيسان كلاهما فى وقت واحد ، وطلبا إليه أن يقوم بعمل من الاعمال فى الحال . ووقف الخادم ، وبدت عليه أمارات الحيرة والارتباك ، وفعل الشىء الوحيد الذى كان فى امكانه فعله ، فأسقط الصحفة ووقف ساكنا جامدا . وبعبارة أخرى كان المسكين قد كلف عمل المستحيل ، فوصل إلى النقطة التى لا يمكنه فيها التروى والتفكير .

وإنك لتسمعين فى هذه الأيام كثيرا عن المصابين بالاضطراب البسيكولوجى العصبى والقصة التى أوردتها تبين ماهو هذا الاضطراب البسيكولوجى العصبى . انها حالة فكرية يعجز فيها الشخص عن التعويل على أمر معين والاتجاه وجهة محددة فى شأن من الشئون ، وقد علمنا من التجارب التى أجريتها على الحيوانات ان هذا الاضطراب البسيكولوجى العصبى ينجم عن تجاوز المدى فى دفع الشخص الذى يصاب به ، ودفعه إلى ما يخرج عن نطاق امكانياته . وما اخالك تحبين أن يصاب طفلك بالاضطراب البسيكولوجى العصبى ، ولذلك أقول : لا تتطلبى منه أن يكون فوق العادى ، ولا تدفعيه إلى أبعد مما يستطيع أن يذهب . ان ذلك ليكون شبيها بمحاولة ادخال مزلاج فى فجوة تضيق عنه ، فلن تفيدى من ذلك غير اتلاف المزلاج بحيث لا تستطيعين الانتفاع به بعد ذلك . ولهذا السبب أقول أيضا : إذا أسرفت فى دفع الطفل فانك تقللين من احتمالات وصوله إلى مستوى غير عادى بدلا من أن تزيدى منها .

<u>قوى فكره</u> : والشىء التالى الذى يستطيع الوالدان عمله للمساعدة على

نمو الطفل الأصم الفكرى هو أن تقدم للطفل التقوية الدائبة المستمرة . و إذا درسنا الأطفال المتأخرين فكريا وجدنا أن عددا كبيرا منهم متأخرون فكريا لسبب واحد هو انهم لم يحصلوا من والديهم على الكفاية من التقوية الفكرية ولتأخذى مثلا حالة أم لها ٢٧ طفلا . ان هذه الأم لا تستطيع بلا ريب أن تخلو إلى كل طفل من أطفالها السبعة والعشرين وتقرأ له وتريه الصور وتلعب معه ألعابا ، إذ ليس فى اليوم من الساعات ما يتسع لذلك ، وهكذا يغدو ذكاء كل من أولئك الأطفال خابيا مدمما . كذلك لا تستطيع أن تستصحب أطفالها السبعة والعشرين فى نزهة بالريف وتريهم « الحصان » و « الكلب » وغيرهما ثم تعود إلى البيت وترى كل واحد من السبعة والعشرين طفلا «حصانا» و «كلبا» فى كتاب مصور . انها عاجزة عن تقوية تفكيرهم .

بيد أن ما تعجز دونه هذه الأم من أشياء هى بعينها ما يجب عليك أن تفعليه لتقوية تفكير طفلك سواء أكان أصم أم لم يكن . فاذا ماقمت بهذه التقوية ، فانك تكونين قد مهدت الطريق أمام طفلك لتعلم القراءة .

وعندما تفعلين هذه الأشياء جميعا لطفلك باستمرار ، فانك تقدمين له بذلك اختبارات . إنك تعلمين طفلك أن هذا حصان ، وتلك بقرة ، وهذا جدى ، وانه ليس للحصان قرنان ولكن لكل من البقرة والجدى قرنان . وانه وان كان للبقرة والجدى كليهما قرون ، فانهما برغم ذلك يختلفان أحدهما عن الآخر .

و بتقديم مثل هذه التقوية الفكرية إلى طفلك فانك تقدمين له ذلك النوع من التدريب اللغوى الذى تحدث عنه الأستاذ احمد عبد العال . و إذا تذكرنا أن اللغة من أفضل الأدوات التى زودنا بها للنمو الفكرى ، كان فى وسعنا أن نتبين بسهولة مقدار ما لتقوية تفكير طفلك بواسطة الكلمات والصور من

الأهمية . فعنـدما ترين الطفل مثلا آلة ديزل وتسمينها آلة ديزل ، ثم ترينه آلة بخارية وتدعينها آلة بخارية فانك تقـدمين بذلك إلى طفلك ما نسميه « مفردات الأشياء » أى أنك تقدمين إليـه كلمات يصل الطفل ما بينها و بين الأشياء التى تدل عليها . فاذا ما عدت إلى المنزل بعـد ذلك فاجلسى ومعك كتاب صور وأشيرى إلى آلة ديزل وآلة بخارية فى الـكتاب ، و بذلك تقدمين إليه كلمات يصل ما بينها وبين الصور . وما دامت الـكلمات الدالة على الأشياء هى نفس الـكلمات الدالة على الصـور ، فان الطفل يبدأ يدرك بعد ذلك تشابه الصور والشىء ، وتزداد الـكلمة معنى فى ذهنـه . والخطوة التالية لذلك هى الخطوة التى تتخذها المعلمة عندما تبدل الصـورة بكلمة مطبوعة للطفل . وعند ذلك يثبت فى ذهن الطفل ان الشىء والصورة وكلمة « آلة ديزل » ذات معنى واحد جميعها ، فيبدأ يتعلم القراءة .

وأجدر الأشياء بالملاحظة فى ذلك الوصف الذى قدمته لعملية تعلم القراءة ، هو أنك أنت والدة الطفل تقومين بثلثيها ، وانك تنفقين فى سبيلها من الوقت أكثر مما تنفق المعلمة . وفى هذا ما يضفى عليك أهمية كبرى كعون فى انمـاء ملـكات الطفل العقلية . وفى هذا ما يوضح بلا ريب انه يجب أن يكون بينك و بين الطفل تعاون وثيق فى العمل ، وأنه يجب عليك أن تعملى باستمرار على تقوية عقليته .

ولا يسوغ لك أن تتركى الطفل وشأنه أو تـكلى أمره الى احدى المربيات أو طفل آخر من أطفالك لمساعدته على النمو ، بل عليك أن تضطلعى بهذه المهمة بنفسك كما تفعل والدة الطفل ذى السمع السليم تماما . ولا مشاحة أن ثمة اختلافا فى الطريقة ، ولـكن الفـكرة العامة واحدة فى الحالتين .

وهل نستطيع إيضاح ذلك خيراً مما فعلت السيدة حرم سامى عندما قالت لك : « تحدثى ... تحدثى ... تحدثى » ؟ كما يتقدم الطفل تتقدم الأم .

بنمو الطفل تنمو الأم كذلك : أنك طول الوقت الذى تقومين فيه بأشياء من أجل طفلك وتتكبدين ألواناً من المضايقات لمساعدته على النمو يحدث لك أنت أيضا أمر من الأمور . أنك تنمين وتتقدمين كذلك ، لا على نفس النمو الذى ينمو به طفلك ويتقدم ، بل تتقدمين فى النضج وفى القدرة على مواجهة الحقيقة والاستعداد لملاءمتها . واختباراتك فى مساعدة الطفل على النمو والتقدم هى علة هذا التغيير الذى يطرأ عليك . ولا يعنى هذا أكثر من أنك سوف تزدادين إدراكا وتعلما لمهمة العناية بطفلك الأصم عن طريق ممارستها عمليا ، أكثر مما تعلمين عنها باستشارة سواك . وإنى لأعلم أن هذا هو ماحدث لى ، وأؤكد لك أننى تعلمت فى غضون السنين الثلاث التى مارست فيها سلوك طفلى ، أكثر مما تعلمت فى ضعف هذه المدة من الأكباب على دراسة علم النفس .

أما إذا ماعرض لك من المشاكل فى العناية بطفلك ما يستعصى عليك ويعييك حله ، فان فى وسعك طبعا الاستعانة بغيرك ، ويجب أن تفعلى ذلك ، إذ أنك بذلك إنما تساعدين نفسك فى الحقيقة ، ولن يفعل من تلجأين اليهم أكثر من زيادة قدرتك على مساعدة نفسك . أما هم أنفسهم فلا يمكنهم مساعدتك كثيراً .

وإليك ما أعنيه : ليس فى وسعك أن تذهبى الى شخص من الاشخاص قائلة : « ان أمامى مشكلة » ثم تتلقين منه حلا لتلك المشكلة ، إذ أنه يغلب ألا يكون ثمة حل واحد . فالتبول فى الفراش قد يتطلب علاجا بطريقة معينة بالنسبة إلى هذا الطفل ، وطريقة أخرى بالنسبة الى ذاك ، فقد تختلف أسباب التبول فى الفراش باختلاف الأطفال .

ولكن هناك ما يحدث عندما تقصدين غيرك فى طلب النصيحة . أنك

تجلسين وتروين المشكلة التى يعييك حلها ، فتشرحين كل مافى فكرك عنها ، وأنك لتتبينين فجأة أثناء حديثك عن المشكلة أنك تنظرين اليها بطريقة جديدة فامضى فى حديثك تجدى أنك تستخرجين بنفسك الأجوبة عن تلك المشكلة دون أن تدرى . وهذا هو مايحدث غالبا عندما تذهبين إلى طبيب للأطفال الصغار وتنقدينه جنيها ، وما يضيع عليك هذا الجنيه فى الحقيقة عبثا ، إذ أن الاجتماع بالطبيب ومشاورته يمكنك من حل المشكلة بإتاحة الفرصة لك للتحدث عنها والنظر اليها بطريقة أخرى .

وبعبارة أخرى لن تكون مساعدة الخبير التى تحصلين عليها حلا للمشكلة القائمة أمامك ، بل يغلب أن تعنيك على جلاء حقيقة المشكلة أمامك وإيضاح مافيها من تعقد والتواء . وهذا أمر هام يجب أن تدركيه حق الإدراك . وإذا ماتمعنت فيه أدهشك مقدار ماتستطيعين عمله الآن بعد أن أكسبتك ممارسة العمل مع طفلك مزيدا من النضج .

كلمة ختامية عن الحصول على المساعدة : يجب أن تعرفى دائما المصادر الصحيحة لذلك النوع من المعونة الذى أنت فى حاجة اليه حقا عندما تتولاك الحيرة والارتباك ، إذ أنه من السهل أن تضلى السبيل وتحيدى عن القصد . فقد تميلين مثلا الى القول « حسنا » لقد تحدث الينا أحد علماء النفس عن هذه المشكلة ، فينبغى أن أقصد إلى أحد علماء « النفس » . وهكذا تتلفتين حولك باحثة فتجدين فى بلدتك أخصائيا فى علم النفس ، وتقصدين اليه فترين أنه عاجز عن مساعدتك . ومصدر هذا العناء أن هناك أنواعا مختلفة من أخصائيي علم النفس (وإنى أتحدث عن أخصائيي النفس الحقيقيين المؤهلين لا قراء الأفكار والمتنبئين بالحظ الذين لن يقدموا اليك شيئا حقيقيا سوى فاتورة أتعابهم ، فإذا شعرت أنه لابد لك من استشارة أخصائى فى الشئون النفسية ، فيجب أن تقصدى أخصائيا فى بسيكولوجية

الأطفال إذ أن أخصائى بسيكولوجية البالغين لن يقدم اليك كثيرا من الفائدة فى مساعدتك على حل مشاكل طفلك . وهذه النصيحة نفسها تنطبق على العاملين الاجتماعيين إذ أن هناك كذلك صنوفا كثيرة من العاملين الاجتماعيين . ولا تنسى بصفة عامة أن هذا عالم تخصص ، فلا مناص لك من الحصول على المساعدة من شخص متخصص فى مشاكل طفلك .

أن العبء الأكبر للعمل على إنماء عقلية طفلك يقع على عاتقك ، وعليك أن تدركى هذه الحقيقة وتواجهيها ، وهو أن الطفل الأصم طفل متخلف بصفة قاطعة . فهو فى حاجة الى مساعدتك ، وعقله فى حاجة الى مساعدتك . وعليك أن تبذلى أقصى ما تملكين من جهد ، وسوف تزداد حياتك أنت غنى وخصبا .

فوزى عشماوى

المساعدة المنزلية للطفل الأصم

لست أقصد أو أتوقع أو تترامى أقصى أمانى وأحلامى أن ينقلب الوالدون فجأة بين عشية وضحاها معلمين لذوى الصمم من الأطفال ، فهيهات أن تصلى إلى ذلك قبل انفاق سنتين على الأقل فى التدريب ، وقبل الكثير من اختبار التعليم وممارسته .

على انك من الناحية الأخرى تستطيعين كوالدة أن تفعلى الشىء الكثير لاعداد الطفل للوقت الذى يجب أن يذهب فيه إلى المدرسة . وتستطيعين فوق كل شىء أن تفعلى أكثر مما يستطيعه أى انسان آخر لكى تجعلى طفلك يحس أنه معزز محبوب لا يضيق به عالمه فى البيت ، حتى يتهيأ له أن يشعر بالدعة والاطمئنان عندما يبرز إلى العالم الخارجى وينهض أمامه ما يدخر له من المصاعب والمشاق . وليس ثمة من مدرسة أو معلم يمكنه أن يحل محل الأم الحاذقة القديرة فى معالجة الطفل المصاب بآفة تعوقه وتؤخره ، لا معالجة الآفة نفسها .

وسأورد هنا أشياء محددة معينة يجب القيام بها فى البيت لكى يصبح طفلك متأهبا للذهاب إلى المدرسة . والغاية من برنامج « الاستعداد » هذا هى انماء قوى الطفل العقلية ، وقواه الكلامية ، وقواه البدنية ، بل وقواه السمعية كذلك بقدر ما تستطيعين ذلك قبل أن يكون فى وسع الطفل أن يتلقى تدريبا نوعيا بالمدرسة . وهذا البرنامج إذا اتبعته سوف يساعد طفلك على الانتفاع بما وهب من الحواس إلى أقصى حد ، ويجعله طالبا أكمل استعدادا عندما يذهب فى النهاية إلى المدرسة .

وانك لتذكرين ان الأستاذ أحمد عبد العال تحدث عن التعليم النوعى والتعليم العرضى فى فصله الخاص بتعليم الأطفال الصم الكلام . وقد كان أكثر ما يدور حوله هذا الكتاب هو التعليم العرضى الذى تستطيعين تقديمه إلى طفلك ، وفرص التدريب والمران التى تسنح أثناء الليل والنهار دون أن يقصد اليها أو يفكر فى تدبيرها . ولذلك سوف أجعل جل حديثى منصرفا إلى التدريب النوعى أو الصادر عن روية وتدبير الذى تستطيعين تقديمه إلى طفلك فى البيت ، والى صنف التدريب الذى يجرى عندما تقولين نفسك : « سأقدم الآن إلى سمير فيما بين الساعتين ٢٫٥٥ و٣ شيئا من التدريب على الملاءمة بين الألوان » .

وفى مثل هذا التدريب النوعي بأجمعه يجب عليك التحقق من اجتياز الطفل عملية تتكون من أربعة أجزاء :

(١) عليه أن يوجه انتباهه إلى حركات فمك ولسانك وتعبيرات وجهك والطريقة التى تحرك بها جسمك .

(٢) يجب أن يلاحظ أو يتعرف الأشخاص والأشياء والأفعال .

و بعد ذلك يجب أن يكون فى مقدوره الوصل بين هذه الثلاثة لتتألف منها أفكار يتبينها و يحيط بها .

(٣) يجب ان يتذكر ماسبق له ملاحظته أو تعرفه .

(٤) يجب أن يحاكى الأفعال التى يتذكرها .

وفى « برنامج الاعداد » الذى سنصفه ونفصله ، يجب أن تكون لديك مهمات معينة تستعملينها . وستتفق بعض هذه المهمات مع التدريب النوعى الذى تقدمينه لطفلك لانماء حاسة بصره ، ويلائم بعضها حاسة سمعه ، و بعضها حاسة لمسه ، بعضها حاسة حركته ، و بعضها حاسة شمه ، و بعضها حاسة ذوقه ، و بعضها حاسة تذبذبة ، ولجعل هذه الحواس جميعا تعمل فى توافق مع المخ ، حتى تعمل على انماء قوة الحكم الشامل فى طفلك ، وتعديه لتعلم الكلام وقراءة الشفاه وتجعليه على استعداد للحياة المدرسية .

وستجدين ان الجانب الأكبر من «برنامج الاعداد» الذى اقترحه مؤلفا من «الملاءمة» بين الأشياء . فطفلك يتعلم قراءة الكلام مثلا بالملاءمة بين ما يراه على وجهك أو شفتيك و بين كلمة أو فكرة ما . وهو يتعلم الكلام بالملاءمة أو المحاكاة بين ما يفعله بشفتيه ولسانه و بين ما يراك أو يسمعك تفعلين بشفتيك ولسانك . وهو يتعلم ما يعنيه الصوت بالملائمة بين مصدر الصوت و بين الشيء أو الشخص أو العمل الذى يمثله الصوت .

وخلال الزمن الذى تدربين فيه طفلك على برنامج الاعداد هذا يجب أن تتكلمى أكثر ما يمكنك الكلام .

وهاك برنامج الاعداد :

لاعداد حاسة بصره : يجب أن تدربيه أولا على ملاءمة الألوان ، ويجب أن تكون هذه الأشياء معدة حاضرة :

(١) أزواج ملونة من العيدان أو الشرائط أو الخيوط أو المشاجب أو الأوراق أو أكياس الحلوى .

(٢) خرائط و بطاقات ملونة أفرادا وأزواجا .

(٣) أقراص ومربعات من الورق المقوى .

(٤) أزواج من بطاقات ملصق بها نفس الرسم أو التصميم .

أبسطى مجموعة زوجية من الأشياء المشار اليها تحت رقم ١ كالشريط ، وأريها معا للطفل لكى يلاحظ تماثل الألوان . خذى بعد ذلك مجموعة الشرائط مثلا (وكلاهما من لون يختلف عن لون الأشياء التى أريتها أياه أولا) . ثم ضعى أمامك أحد الشرائط ودعى طفلك يحاول أن يضم إليه الشريط الآخر المماثل له فى اللون .

خذى بعد ذلك مجموعة واحدة من البطاقات اللامعة (رقم ٤ بماليه) ، وناولى الطفل بطاقة بطاقة ودعيه يضع كل بطاقة على مثيلتها بالمجموعة المماثلة .

وعلى سبيل التغيير يمكنك أن تريه بطاقة تطلب اليه أن يناولك البطاقة المماثلة لها .

وباستعمال الأدوات الملونة المختلفة التى لديك تستطيعين أن ترى طفلك لونا ما وليكن الأحمر مثلا ، ثم تخفى عن عينيه ذلك اللون أما بوضعه وراء ظهرك أو بتغطيته بيدك وتدعيه يخرج من بين الأدوات التى لديه شيئا من نفس اللون . وهذه اللعبة بنوع خاص أبعد أثرا من سواها إذ أنها تساعده على تبين تماثل الألوان ، كما أنها تساعد كذلك على انماء قوى التركيز والذاكرة فيه .

وعليك أن تذكرى أن هذا يجب أن يكون لعبا وتسلية ، وأن يجد الطفل فيها متعة وتفكهة ، كما ينبغى ألا تستمر طويلا جدا . ولعلك بعد انجاز ما تقدم وصفه تؤثرين وقف التدريب يوما واحدا .

والخطوة التالية فى التدريب البصرى لطفلك أن تقومى بتدريبه على الملاءمة بين الصور (الأشكال) . وللملاءمة بين الصور يجب أن تتوفر لديك بعض الأدوات الآتية :

(١) أزواج من الصور المعرفة بالسلويت silhouette pictures

(٢) أزواج من الرسم التخطيطى لنفس الصور .

(٣) بعض الأشياء المماثلة تماما لصور السلويت أو الرسوم التخطيطية .

(٤) أزواج من الاشكال أو التخطيطات المقطمة .

(٥) أزواج من الدوائر المختلفة الأحجام متدرجة من الأصغر فالأكبر وهكذا.

(٦) أزواج من أجسام صلبة مختلفة الأشكال (مكعبات وأكر وغيرها) .

(٧) مجموعات زوجية من الفلين والقوالب الخشبية والبكر والبلى والحلقات .

(٨) ألواح فرم (form boards) مع أوتاد تركب عليها .

(٩) مجموعات زوجية من أشياء من نفس الشكل ولكنها تختلف فى اللون والحجم .

(١٠) أشكال حيوانات أو لعب مصنوعة من الخشب أو المعدن لا يزال الاطار حولها (أنظرى الرسم رقم ٢) .

وهناك ثلاث طرق تستطيعين أن تستعملى بها هذه الأدوات لتدريب مقدرة طفلك على الملاءمة بين الهيئات والاشكال . الأولى أن تضعى أحد الأشياء على المائدة وتدعى الطفل يحاول أن يخرج نظيره من بين الأشياء المماثلة التى لديه . والثانية أن تريه بطاقة من البطاقات أو شكلا من الأشكال ثم ترفعيه أو تخفيه عن نظره و بعد ذلك تدعيه يعطيك البطاقة أو الصورة المماثلة . والثالثة أن تضعى الاطارات (الأدوات رقم ١٠ بعاليه — الرسم رقم ٢) على فرخ كبير من الورق . و بعد ذلك دعى الطفل يضع الشكل الذى قطع من الاطار بمكانه من الاطار . أو دعيه على سبيل التغيير والتنويع يتتبع خطوط الاطار الداخلية بالقلم الرصاص ثم يلون الشكل الذى ينتج من ذلك .

والخطوة الثالثة فى التدريب البصرى هى الجمع بين الخطوتين الأوليين معا أى أن تدعى طفلك يلائم بين الصورة واللون فى الوقت ذاته . وهذا النوع من التدريب يقتضيك مزيدا من الأدوات :

(١) مجموعات زوجية من بطاقات عليها رسوم مختلفة من ألوان مختلفة .

(٢) فرم مؤلفة من رسوم متماثلة ملونة بألوان مختلفة .

(٣) ألغاز جيج سو jig-saw puzzles من قطعتين وثلاث وأربع قطع .

(٤) قوالب رسوم كوه .

وفى وسعك أن تبدأى فى المجموعات الزوجية من البطاقات المختلفة الرسوم المتباينة الألوان بوضع احدى مجموعات البطاقات على المائدة ومطالبة طفلك بأن

يلائم بينها و بين بطاقة من المجموعة التى معه . ثم تستطيعين بعد ذلك كما فعلت فى أنواع التدريب الأخرى أن تريه بطاقة معينة ثم تخفيها عن نظره وتدعيه يعطيك الصورة الأخرى من البطاقات التى أخفيتها .

وفى لغز الجيج ســو jig-saw puzzles يمكنك أن ترفعى بعض القطع من اللغز بعد أن تضعيها كلها معا ، و تدعى الطفل يضع القطع الصحيحة فى مكانها ثانية . ويجب أن تكون هذه الألغاز من النوع الذى لا يتفرق عند تحريكه ، ويجب أن تكون الصور المرسومة عليها زاهية الألوان لأشياء تعلمها الطفل من قبل . فيمكن مثلا أن تكون الصور صور كرات أو أحذية أو نحل أو لعب أو فتيات أو أشجار أو بيوت أو بط أو طبول أو خيل أو أبقار أو قطط أو غنم أو عربات القطارات أو طائرات وما إلى هذه كلها .

وفى وسعك أن تنوعى التدريب الخاص الذى تمارسينه بواسطة الجيج سو بأية طريقة تشائين مادمت تحافظين على فكرة الربط بين الشكل واللون معا فى ذهن الطفل .

و توجد أنواع عديدة من ألواح Form boards . فمنها نوع عبارة عن لوحة مساحتها ثمانى بوصات مربعة تقريبا مرسوم عليها احدى الكلمات المعروفة للطفل . وحول خطوط الصورة نقر منقورة يستطيع طفلك أن يركب بها أوتادا ملائمة للون الذى يتفق أن يكون حول النقرة .

ومن أنواع لوحات الفرم الأخرى نوع مرسوم عليه مجموعات من أشياء متشابهة لونت بألوان مختلفة . وكل من هذه الأشياء منحوت يمكن رفعه من اللوحة واعادته اليها . وإذا رفعت أحد هذه الأشياء المنحوتة من اللوحة ، رأيت القاع الذى توضع فوقه ملونا بنفس لونها . وهذه هى الحال بالنسبة إلى الأشياء الآنية ، فهى جميعا ملونة بألوان مختلفة من أعلى ومن أسفل : مظلات وزوارق

وطيور ولعب وفاكهة وأثاث غرفة النوم ومناظر الشوارع . وبرفع هذه الأشياء يمكنك أن تنسق مناظر مختلفة وتدعى الطفل يقلدك . ثم يمكنك أن تتوسعى فى ذالك بأن تجعليه يعيد كل شىء إلى مكانه الصحيح .

وخير ما تفعلين أن تحصلى على جميع أنواع هذه اللوحات ، ولا مناص لك من الحصول على بعضها على الأقل حتى يتهيأ لطفلك الحصول على تدريب على الملاءمة بين الاشكال والألوان قبل أن يلحق بالمدرسة .

فاذا ما تعلم طفلك جيدا كيف يلائم بين الشكل واللون ، كان فى وسعك أن تنتقلى إلى الخطوة التالية وهى ملاءمة اللعب والأشياء بعضها مع بعض . وستحتاجين من أجل ذلك إلى :

(١) أزواج من العربات والأكر والأعلام والأبواق والعرائس وأقلام الرصاص وغيرها من نفس الحجم واللون .

(٢) أزواج من العربات والأكر والزوارق والجنود الخشبية وعلب الصفيح وغيرها مختلفة الأحجام والألوان .

وفى وسعك أن تفعلى بالأشياء المتشابهة اللون مافعلته من قبل ، أى أن تجعلى طفلك يلائم بين أفراد كل زوج ، ثم يريك شيئا يماثل شيئا تكونين قد أخفيته عن نظره .

أما عن اللعب المختلفة الأحجام والألوان ، فيمكنك أن تعطى الطفل نصف اللعب ، وتضعى أمامه لعبتين من اللعب التى عندك . ارفعى احدى اللعبتين ودعيه يملأ مكانها باللعبة التى تماثلها بمجموعته وفى وسعك ان تزيدى من عدد اللعب أثناء القيام بالتدريب .

وهناك لعبة أخرى هى أن تضعى على المائدة ثلاث لعب فى ترتيب معين ،

ثم تطلبي إلى الطفل أن يحول بصره ريثما تغيرين الترتيب . وبعد ذلك أطلبي اليه أن ينظر ويحاول اعادتها إلى ترتيبها السابق . وهنا أيضا يمكنك زيادة عدد اللعب أثناء مباشرة التدريب .

وإذا ما استطاع طفلك الملاءمة بين الأشياء واللعب بعضها مع بعض ، فانه يكون مستعدا للملاءمة بين الصور أو الرسوم . والأدوات التي تحتاجين اليها من أجل ذلك هي :

(١) مجموعات زوجية من الصور المتماثلة من المجلات والكتالوجات وكتب الأطفال أو الرسوم المأخوذة عن الصور .

(٢) مجموعات زوجية من الصور المتشابهة (ولكنها غير متماثلة تمام التماثل) من المجلات وغيرها .

(٣) بطاقات العوانس OLD MAID CARDS

(٤) أوراق اللعب

وعليك أن تسيري في طريقة الملاءمة الابتدائية العادية بهذه الأدوات .

والخطوة التالية بعد ذلك هي أن تضمي مقدرة طفلك على ملاءمة الأشياء الى قدرته على ملاءمة الصور ، وأن تعلميه أن يلائم بين الأشياء والصور . وليس ثمة من حاجة إلى سرد الأدوات التي سوف تحتاجين إليها ، فليس عليك إلا الحصول على لعب وأشياء تشبه الصور شكلا ولونا .

خذي أي ثلاثة من الصور وضعيها على منضدة منخفضة أو مقعد . أعطي الطفل لعبة وأفهميه أنك ترتدين منه أن يضعها فوق الصورة . ويمكنك تنويع هذه اللعبة بوضع الأشياء على منضدة ومسك الصورة قريبا منك ، ثم تطلبين إلى الطفل أن يخرج اللعبة التي تناسب الصورة .

والخطوة التالية فى إنماء حاسة البصر فى طفلك هى بلا ريب أهم خطوة وأوفرها نشاطا . فهو الآن على استعداد لتعلم كيف يلائم بين حركات الجسم. وإليك بعض الألعاب التى تستطيعين القيام بها فى هذه الخطوة :

١ — الابهامان إلى فوق . . الابهامان إلى تحت . . الابهامان إلى اليمين . . الابهامان إلى اليسار .

٢ — راحة اليد اليسرى إلى فوق .. راحة اليد اليمنى إلى تحت على حجرك .. بالعكس

٣ — أديرى ذراعيك إلى الأمام وإلى الخلف .

٤ — الإشارة إلى أجزء الجسم .

٥ — لعبة « حساء الحمص ساخن . . حساء الحمص بارد . . حساء الحمص فى الاناء . . مضى عليه تسعة أيام » .

٦ — ضم مقدم القدمين . . باعد ما بين الكعبين . ضم الكعبين ، فارق بين المشطين . المشطان فى الهواء ، الكعبان على الأرضية . ارفع الكعبين ، المشطان على الأرضية .

٧ — تساقط ثلوج خيالى ، ويمكن عمل ذلك بتحريك يديك إلى تحت فى الهواء ولى الأصابع .

٨ — « بيجى الصغيرة ذهبت إلى السوق الخ . . . »

٩ — مقطوعة خلية النحل . أرى الطفل أولا صورة خلية نحل ثم ضمى قبضتك والابهام داخلها وأوضحي له كيف يشبه ذلك خلية النحل . ثم اتلى عليه هذه المقطوعة وأنت تقومين بنفس الأعمال المبينة بعد :

قولى	أفعلى
هذه خلية نحل	(أريه قبضتك)

فأين النحل ؟ (أنظرى إلى قبضتك من كل ناحية)

مختبئة حيث لايراها أحـد . (استمرى فى النظر الى قبضتك)

وسرعان ما تأتى مطلة من الخلية ...

واحد (أخرجى أبهامك)

اثنان (أخرجى السبابة)

ثلاثة (أخرجى أصبعك الثالثة)

أربعة (أخرجى أصبعك الرابعة)

خمسة (أخرجى الخنصر)

وهاهى تطير مبعدة ! (رفرفى بأصابعك وحركى يدك بالتدريج إلى أعلى وهى تبتعد)

(١٠) أدفع كرة بحيث تتدحرج إلى الوراء ثم التقطها .

(١١) اتبع القائد . مثـال ذلك النفخ فى بوق أو التصفيق باليدين أو الوثب على الحبل أو التزحلق (سكيتينج) أو السير بسرعة أو تقليد الحصان الهزاز أو تـكسير الخشب أو العزف على البيانو أو العزف بموسيقى الفم أو قرع طبل أو غسل الثياب أو كىّ الثياب أو الطيران كالطائر أو السير على أطراف أو السير القدمين بشدة كالجبابرة أو العد كالجواد .

(١٢) ألعاب قذف الـكرة إلى أعلى .

(١٣) التمارين الرياضية للفك والشفتين واللسان .

ولرياضة الفك افتحى واقفلى فمك ببطء ، ثم بسرعة، ثم افتحى الفم والعينين فى وقت واحد ، ثم الفم والعينين معا مرة أخرى .

ولرياضة الشفتين أبرزى الشفتين ثم أسحبيهما كما كانتا بحيث تنطبقان تماما . أديرى اللسان حول الشفتين مبتدئة بالجهة اليمنى ومديرة لسانك حول الشفتين ببطء ثم ابدأى من الجهة اليسرى مديرة لسانك حولها ببطء .

ولرياضة اللسان أخرجى لسانك بسرعة ثم أدخليه بسرعة . أخرجى اللسان ببطء ثم ادخليه ببطء . وبعد ذلك أفعلى كل ما يمكن أن يخطر ببالك لتحريك اللسان ودعى الطفل يقلدك .

وتستطيعين بعد ذلك أن تجعلى الطفل يلائم بين الأعمال الجسمانية وبين الصور . وليس عليك إلا أن تريه بعض الصور لأوضاع مختلفة للجسم يسهل محاكاتها وتقليدها وتسأليه أن يقلدها . كذلك أجعليه يقلد أوضاعا مختلفة للفم والشفتين واللسان .

وجميع هذه الأعمال إذا نفذت بانتظام وفى فترات قصيرة وإذا جعلت منها لهوا وتسلية لا تجربة ثقيلة مرهقة ، سوف تساعد بلا ريب على تدريب حاسة البصر فى طفلك حتى إذا ما حان له أن يلتحق بالمدرسة استعمل عينيه على أتم وجه يستطيعه فى تعلم كيفية التغلب على عقبة الصمم وقهرها .

وهذه الأشياء التى ذكرناها هى بعض ما تستطيعين عمله فى البيت لاعداد حاسة البصر فى طفلك . وننتقل الآن إلى الحواس الأخرى ، فكيف تستطيع إعدادها ؟

<u>لاعداد حاسة ذوقه</u> : أن انماء حاسة الذوق فى طفلك يمكن أن يكون أيضا لعبة ملاءمة ، وهى لعبة لك أن تستيقنى من أن طفلك سيألفها ويحبها ، لأنه سيأكل أثناء القيام بها .

والمواد التى يجب أن تكون لديك للقيام بهذه اللعبة هى : قطع من حلوى

السكر وليمون و برتقال وملح وفلفل و زيت وخـل وسكر ولحم ودواء وأقراص الأسبيرين وايس كريم (ولعل هذه أحبها جميعا إلى الطفل) :

افعلى ما تتوقعين ، ضعى الطعام على مائدتك واجعلى طفلك يتذوق كل مادة من هذه المواد . ثم أجعليه ، بعد اغلاق عينيه ، يذوق شيئا من الأشياء . و بعد ذلك اطلبى إليه أن يفتح عينيه و يشير إلى الشيء الذى ذاقه . وهذه العملية تتطلب كثيرا من المران ، ولـكن طفلك سيتعلم فى الوقت المناسب .

لاعداد حاسة اللمس عنده : لأنماء حاسة اللمس فى طفلك يجب أن تأتى بأشياء يختلف نوع سطوحها ، فيكون بينها الناعم والخشن والشائك واللزج والسهل التفتت الهش والمبلول والجاف والحريرى والصوفى والمغلول والحاد .

ضعى الأشياء على منضدة واجعلى طفلك يتحسس كل واحد منها . ثم اطلبى اليه أن يغمض عينيه و يتحسس أحد الأشياء . و بعد أن يفتح عينيـه اطلبى منه أن يبين الشيء الذى لمسه .

وللتنويع فى هذه اللعبة ضعى هذه الأشياء فى كيس أو تحت غطاء من القماش ، وأريه قطعة منهـا ودعيه يتحسسها ، ثم اخبريه أن يتحسس ما بالحقيبة أو ماتحت الغطاء حتى يمس شيئا له نفس الملمس .

لأنماء حاسـة الشم فيه : عليك أن تجمعى هنا مواد كالروائح العطرية والدبغ واللبن الرائب والفلفل والزهور والسمك واللحم والطعـام المحروق والـكبريت المأخوذ من العيدان ، والماء المالح والماء العذب والمشروبات الخفيفة والسيجار والجازولين والجبن والخل والبن والشكولاتة وهكذا .

ضعيها على منضدة واطلبى إلى الطفل أن يشم كلا منها . ثم اجعليه يغمض

عينيه ويشم مادة من المواد التى رآها وشمها . وبعد أن يفتح عينيه اطلبى منه أن يبين ما هى المادة التى شمها .

لاعداد احساسه بالحرارة : احضرى شيئا من الثلج والحساء والقهوة واللبن والمشروبات الخفيفة والآيس كريم ، وهى أشياء تختلف درجة حرارتها عاديا . يجب أن يكون الموقد قريبا ، ولعله يكون فيه بعض النار .

ضعى هذه الأشياء على منضدة أو قريبا من الطفل (ويجب أن تحترسى أشد الاحتراس فيما يختص بالنار) ودعيه يلمسها أو يشعر بحرارة (أو برودة) كل منها . ثم اجعليه يغمض عينيه كالعادة ويشعر بأحد الأشياء ، ثم يبين لك بعد ذلك هذا الشىء .

لاعداد احساسه بالتذبذب أو الاهتزاز : أعدى بعض الأشياء التى تحدث ذبذبة أو اهتزازا . وإذا كان ثمة مطار قريب فوجهى التفاته إلى صوت الطائرات وهى تمر بكم وأريه فى نفس الوقت لعب طائرات . أريه كيف يحدث أحد الأبواب ذبذبة فى البيت كله حين تغلقينه بشدة . أديرى آلة التنظيف الفاكيوماتيكية . دعيه يلاحظ الرعد وحاولى أن تشرحى له من أين يصدر .

والبيانو مناسب لهذا النوع من التدريب بصفة خاصة . أريه كيف تدوى المفاتيح الدنيا وكيف تصلصل المفاتيح العليا . تأكدى من أنه منتبه إلى صوت سيارتك عندما تحدث ضوضاء .

والغاية الأساسية من ذلك هى الاستيثاق من أن طفلك يعرف مصدر الأصوات المختلفة . وربما لا تكون إليه أصواتا على الوجه الذى نعرفه بل مجرد ذبذبات أو اهتزازات . فهو يشعر بالذبذبات ، وأنه ليكون من أكبر أسباب المعونة له إذا استطاع أن يميز بين الأنواع المختلفة للذبذبات .

وهذا الضرب من التدريب ينبغي ممارسته فى كل فرصة ، وعليك القيام به كلما أتيح لك ذلك .

لاعداد احساسه بالحركة والثقل والمرونة : ينبغى هنا أن تستجمعى بعض الأدوات القوية والضعيفة واليابسة والمشدودة والمسترخية والمتأرجحة والثقيلة والخفيفة والصلبة واللينة . كذلك ينبغى أن يكون فى مقدورك اظهار الفرق بين السريع والبطىء .

أطلبى إلى طفلك أن يرفع أو يضغط أو يجس الأدوات التى جمعتها اجعليه يقلدك فى الحركات السريعة والبطيئة . و بالاجمال دعيه يفعل أى شىء من شأنه أن يجعله قادرا على تمييز الفرق بين جميع الحركات والأوزان والمرونات على اختلافها .

لاعداد حاسة السمع فيه : أرجىء بحث هذا الضرب من التدريب إلى النهاية لعظم أهميته وخطره ، ولأنه (كما قد يبدو لك) شديد العسر فى حالة الطفل المصاب فى سمعه .

وقد أوضح غيرى من الكتاب بهذا الكتيب أن ثمة احتمالا كبيرا أن يكون فى طفلك بقية من قوة السمع ، قد لا تكون كبيرة ولكنها شىء من السمع على أية حال . فأساس هذا النوع من التدريب اذن هو استعمال كل ذرة من قوة السمع تكون بالطفل .

وكلما أسرعت فى حمله على استعمال هذه البقية ، كان خيرا وأبقى . وهذا هو السبب فى أن الوالدين يجب أن يمارسا هذا اللون من التدريب قبل التحاق طفلهما بالمدرسة .

و إذا ما حصل طفلك على التدريب اللازم لاعداد حواس البصر والذوق

واللمس والشم والحرارة والتذبذب والحركة للالتحاق بالمدرسة،فانه يكون كذلك أحسن استعدادا ليتعلم كيف يستخدم ما يكون لديه من بقيـة السمع . والجدير بالملاحظة أن ألوان التدريب المختلفة على تلك الأشياء تصبح من تلقـاء نفسها جزءا من التدريب الذى يجب أن يتلقاه لانماء ما تبقى فيه من قوة السمع ، فلقد دل الاختبار على أن خير النتائج فى تدريب الأطفال الصم أو المصـابين بنقص شديد فى السمع تأتى من الجمع بين حواس البصر واللمس والسمع . وعلى طفلك أن يتعلم أن يسمع ويبصر ويحس الصوت أو الكلمة معا فى الحال .

وقد تتساءلين لماذا تعنى نفسك حتى فى التفكير فى تجشم مشقة تعليم طفلك أن يستعمل سمعه وأنت لا تعلمين اذا كان لديه أى شىء من السمع أم لا . والفكرة الصحيحة هى أن تفترضى أن به بعض قوة السمع حتى يثبت العكس

والأهداف التى يجب أن تكون نصب عينيك حين تبدأين فى تدريب طفلك هى :

(١) اعطاؤه القدرة على تقدير الصوت .

(٢) اعطاؤه أساساً يستطيع به تعلم الكلام فى سهولة أوفر .

(٣) مساعدته على فهم اللغة .

(٤) مساعدته على انماء شخصيته أقرب إلى الطبيعة لمجرد أنه يستطيع السمع، ولو كان هذا السمع ضئيلا .

وأول ما يمكنك عمله هو أن تتكلمى و تغنى قريباً جداً من أذن الطفل . وقد يكون فى ذلك بعض الفائدة ، وأن أمكن أن يكون خلواً من النفع أيضاً . ويجب أن يراك الطفل مراراً وأنت تتكلمين قبل أن يستطيع أن «يسمع»

استعملى ما لديك . فى وسعك أن تقومى بكثير من تدريب سمع طفلك و تنشيطه بواسطة ما نسميه بالاصوات المجملة و الطبول والصفافير والنقر على الاوانى

بالمعلقة، والاجراس والابواق وما الى ذلك . واعملى بما اقترحته مدام سامى وغيرها فى هذا الكتاب كله : تكلمى.. تكلمى.. تكلمى . استعملى أصوات الحيوانات واحدثى كثيرا من الاصوات المتحركة ، وتغنى بأناشيد الطفولة ، وأعيدى العبارات مرارا وتكرارا ، وغنى بصوت مرتفع وبصوت خفيض ، وبنغم عال وبنغم ناعم لين .

والشيء الذى يجب أن تفعليه بعد ذلك هو أن تعطى طفلك نوعا من أنواع أجهزة السمع . فان هذه الاجهزة إذا وصلت بالراديو أو بجهاز التليفيزيون ساعدت أعظم المساعدة فى جعل السمع لطفلك متعة وتسلية (وفيها كذلك توفير لوقتك) . وقد تحدث الأستاذ حسين سامى فملا بالفصل الذى كتبه عن الأنواع الأساسية لأجهزة السمع .

وإذا كانت لدى طفلك بقية من السمع (ومعظم الأطفال لديهم شيء ما من ذلك) فانها على الأرجح لن تتلاشى . بل انها لا يمكن أن تتلاشى فى الحقيقة إلا إذا عرض مرض من الأمراض أو اصابة من الاصابات فقضى عليها . واعتقادى ان الطفل لن يستعمل ما تبقى له من قوة السمع إلا إذا درب أحد على ذلك . فاذا لم تعلميه أنت أو المدرسة استعمال سمعه ، تلاشت فى الظاهر لا لأنها تتلاشى حقا ، بل لمجرد ان طفلك سيعتاد عدم الانتباه إليها .

وجميع ما قدمناه من طرق التدريب ، طرق تدريب حواس البصر والذوق واللمس والشم والحرارة والذبذبة والحركة فى طفلك خليقة أن تسدى اليه أجل المعونة فى اعداد حاسة سمعه فيكون أوفر حظا من اكتساب العلم عندما يلحق بالمدرسة ، كما أن هذا الاعداد هو الأساس الضرورى الذى يجب أن يحصل عليه الطفل لتعلم قراءة الشفاه .

احدى عشرة قاعدة لتعليم قراءة الشفاه : ان « برنامج الاعداد » الذى وضعته آنفا موضوع لجعل طفلك مستعدا لقراءة الشفاه بين ما يؤهل له من شئون أخرى . فان الطفل السليم السمع يجب أن يتعلم فهم اللغة بدوام استماعه لها قبل أن يتهيأ له تعلم الكلام ، أما فى حالة الطفل الأصم ، فان قراءة الشفاه تقوم مقام السمع ، و بواسطة قراءة الشفاه يتهيأ للطفل آن يبدأ فى تفهم معانى الكلمات ، وأن يرى فى الوقت ذاته الشكل الذى تتخذه شفتاك ، والحركات التى يأتى بها لسانك ، والذبذبات التى يحدثها صوتك ، حتى يستطيع تقليد هذه الحركات والنطق أخيرا بكلمة على النحو الذى تفعلين .

ولعل أشد الصعاب فى تعليم الأطفال كيف يقرأون الشفاه تعرض فى حملهم على تركيز انتباههم على شفتيك . ولا ريب أنك قد لاحظت ان كثيرا من الألعاب التى وردت ببرنامج الاعداد جعلت الطفل يركز انتباهه على يديك أو الشىء الذى كنت تمسكينه أو على وجهك نفسه . وكل ذلك مقصود به اعطاء الطفل بعض المران على تركيز انتباهه . والآن يجب أن يتجه انتباهه كله ويتركز على فمك .

واليك بعض القواعد الأساسية التى يجب أن تسيرى عليها فى تعليم طفلك كيف يقرأ الشفاه . (يحسن بى أن أثبت هنا ان اصطلاح « قراءة الشفاه » ليس دقيقا كل الدقة فى الدلالة على المقصود به . فهو فى الحقيقة « قراءة الكلام» لأن الأمر لايتناول حركات شفتيك فحسب ، بل يشمل كذلك حركات الفكين وعضلات الوجه وعضلات الجسم وما إليها .على أنه لما كانت عبارة «قراءة الشفاه» هى الاصطلاح الشائع ، فانى سأمضى فى استعمالها) .

القاعدة ١ — لا تتوقعى أن يركز طفلك انتباهه على شىء واحد لأكثر من

دقائق معدودات فى المرة الواحدة . ويمكنك أن تقومى ببعض تمارين الاعداد التى أوردتها مدة دقيقة أو دقيقتين . ثم تقومى بعد ذلك ببعض التدريب العملى على قراءة الشفاه لمدة دقيقة أو دقيقتين . وهى كما ترين عملية بطيئة ، وعليك بالصبر وسعة الصدر .

القاعدة ٢ — يجب أن يكون التدريب الذى تضطلعين به عرضيا ونوعيا معا . فأذا أريت طفلك قبعته وسترته عندما تتأهبين للخروج به ، وإذا انتهزت هذه الفرصة لتقولى « البس سترتك » « أحضر قبعتك » وهكذا ، فانك بذلك تعطينه تدريبا عارضا . أما عندما تجلسين إلى الطفل معتزمه أن تصرفى دقيقتين ونصف دقيقة مثلا فى تعليمه قراءة الشفاه ، فأن هذا تدريب نوعى .

القاعدة ٣ — اجتهدى فى استعمال كلمات لا تبدو مماثلة لكلمات أخرى عندما تكونينها بشفتيك ووجهك . فالكلمات « ناقوس » و « جلوس » ، « أبط » و « نط » و « أنف » و « حرف » أزواج من الكلمات خليقة بأن توقع المبتدىء فى قراءة الشفاه فى حيرة واختلاط . وخير طريقة للتثبت من هذا الأمر ومراجعته هو أن تقولى الكلمات التى تنوين استعمالها أمام مرآة . فالكلمتان « حذاء » و « كرة » صالحتان أتم الصلاحية ، وهما مألوفتان لدى معظم الأطفال كما أنهما تظهران مختلفتين اختلافا بارزا على وجهك حين تنطقين بهما .

القاعدة ٤ — بمجرد أن يتعلم طفلك التميز بين كلمتين أضيفى اليهما كلمة ثالثة .

القاعدة ٥ — استعملى الكلمات دائما فى جمل كاملة ولا تستعمليها وحدها قط. فان هذا خليق بأن يعطى الطفل الصورة التى تتسق بها الكلمة مع سواها من

الـكلمات ، وقد تساعده على تعلم كلمات أخرى مع الـكلمات التى تحاولين تدريبه على تعلمها .

القاعدة ٦ — لاتقولى الـكلمات بنظام واحد كل مرة تقولينها قط . فاذا كنت تستعملين أشياء لايضاح المعنى مع مظهر الـكلمات على وجهك ، وجب أن تستعملى أشياء مختلفه لايضاح معنى الـكلمة الواحدة . فاذا لم ترى الطفل مثلا سوى مشط أسود لايضاح معنى كلمة « مشط » فقد ينتهى الأمر بالطفل إلى الاعتقـاد بأن كل شىء أسود مشط ، أو أن جميع الأمشاط سوداء .

القاعدة ٧ — يجب أن تـكررى جميع الـكلمات القديمة التى تعلمهـا مرارا كثيرة ويوما بعـد يوم للتحقق من أنه لا ينسى الـكلمات القديمة وهو يتعلم كلمات جديدة .

القاعدة ٨ — إذا ما ألم بعدة كلمات فعليك أن تجمعى معا جميع الكلمات التى تدل على أشياء من نوع واحـد . فعليك مثلا أن تجمعى كل الـكلمات التى تدل على حيوانات معا ، وكذلك كل الـكلمات التى تدل على لعب ، وكل الـكلمات التى تدل على أشخاص وهكذا .

القاعدة ٩ — ليـكن وجهك دائما أمام الطفل مباشرة بحيث يسقط الضوء على وجهك . لاتنتظرى أن يـكون مستريحا جدا إذا كان عليـه أن يرفع بصره إلى وجهك كل مرة .

القاعدة ١٠ — أجعلى الطفل يحس بالـكلمات دائمـا كما يراها . ويجب وضع يديه على وجهك حتى تستقر أصابعه على طول عظمة الفك ، وتمس بقية يده خدك فانه بذلك لا يحس بالذبذبات المختلفة التى تحدثها الـكلمات المختلفة فحسب ، بل

أنه حين يكون واضعا يديه على وجهك يـكون أميـل إلى زيادة تركيز انتباهه حول ملاحظة شفيتك وعضلاتك وعمل فكك .

القاعدة ١١ — يجب أن تتـكلمى على نحو طبيعى وفى وضوح ، غير مسرفة فى السرعة أو البطء .

ولا أجد هنا بدا من أعادة قولى أن تعـلم قراءة الشفاه عملية بطيئة . وأنك لتحرزين فوزا كبيرا إذا تعلم طفلك فى كل درس كيف يفهم ولو كلمة واحدة حتى ولو لم يستطع أن يقرنهـا إلى الشىء أو الشخص أو الفعل الذى تدل عليه . فلا يتسرب من ذلك اليأس والقنوط . أنه يتعلم ، وهو يتأهب للازدياد من التعليم . وأنك لتحفزينه وتبثين فيه الهمة والنشاط وتجعلينه يدرك كلمات أكثر ، فأفعلى أحسن ما تستطيعين .

ومتى تحسنت مقدرة الطفـل على قراءة الشفاه كان فى وسعك أن تبدأى فى تعليمه الـكلام نفسه . وهذا هو الهدف الأخير من برنامج الاعداد ، ففى وسعك أن تتبينى عـلة الأهمية الـكبرى للبدء بالتدريب الذى بسطته بمجـرد استطاعة الطفل تلقيه .

وليس ثمة من فرق بين الطفل الأصم والطفل السليم السمع فيما يختص باخراج الأصوات عندما يكونان كلاهما فى طور التمتمة .

وهما يبدآن فى الاختلاف أحدهما عن الآخر عندما يشرعان فى التقليد والمحاكاة . وفى هـذا ما يدلك على وجوب الاسراع فى البدء بتدريب الأعداد المتقدم إذا ما بدأ طفلك فى المحاكاة .

والمبدأ الأساسى فى تعليم الطفل الأصم الـكلام هو بطبيعة الحال التأكد أولا من أن الطفل لا يكف عن استعمال صوته . وهذا يعنى أن عليك حمله على الاستمرار فى تمتمته بأن تبدى له الموافقة والتحبيذ عندما يتمتم ، وبالقيام بتمرينات تستعمل فيها أصوات كالأصوات التى يخرجها الطفل عندما يتمتم . وثمة كتاب جيد عنوانه « بناء الصوت » بقلم ليلى حسنين أود أن أوصيك بقراءته ، ولاسيما إذا كان استعمال طفلك لصوته يقل يوما بعد يوم وفى هـذا الـكتاب سلسلة من تمرينات استعمال الأصوات القريبـه الشبه بالأصوات التى يخرجهـــا الطفل تلقائيا عند تعلمه الـكلام .

واعتقادى أنه يجب تعليم الـكلمة فى مجموعها لا الأصوات المفردة التى تؤلف الـكلمة . وقد كان هذا جزيل النفع فى تعليم الـكلام للأطفال الصم .

كذلك أعتقد أن الأفضل تعليم الـكلام باستعمال « برنامج الأعداد » الذى بسطته . فبالتمهيد باستعمال « برنامج الأعداد » وبالمثابرة على استعماله ، يتعـلم الطفل أن يرى ويحس ويسمع الـكلمة (إلى حدما) . وفيه كذلك حركة تودد وملاطفة ، لأن أنجع الطرق لهذا التعليم هو أن تجعلى الطفـل يعتلى حجرك حتى يتمكن من وضع يديه على وجهك فى سهولة .

ولعلك تخصصين من وقتك من دقيقتين إلى خمس دقائق عـدة مرات كل يوم لهذه التمارين التى ستساعد طفلك على انقاذ صوته .

* * *

بسطنا لك فيما تقـدم برنامج الاعداد ، وهو برنامج يبدأ بإنمـاء ، ما يملك طفلك من الحواس حتى تتضافر هذه الحواس جميعا وتعمل فى توافق واتساق على تعويض الحاسة التى تنقصه وهى السمع . ومتى أنميت هذه الحواس ، وكان الطفل أحسن استعدادا لتعلم كيف يقرأ الشفاه ، ومعنى ذلك أن يستطيع تعلم ما تدل عليه الـكلمات

وكيف تبدو وكيف يحس بها عندما يتكلم بها . ومتى فرغ من تعلم ذلك كان متأهبا لتعلم استعمال صوته (ولا تنسى أن لديه من قوة الصوت مثل ما لدى أى شخص آخر تماما) وسينتهى من ذلك إلى القدرة على الكلام . وقد لا يتهيأ له قط أن يتكلم كلاما طبيعيا لاغبار عليه كالطفل ذى السمع السليم ، وليس ثمة أدنى شك فى أنه لن يتكلم بمثل سرعة ذلك الطفل ، ولكنه سوف يتكلم . سوف يكون فى مقدوره الاتصال بغيره من بنى الانسان سواء أكانوا ممن يسمعون أم لم يكونوا ، وسوف يستطيع أن يصبح مواطنا جيد التأهيل للمتجمع الذى يعيش فيه ، ويغلب جدا أن يكون فى مكنته أن يسدى إلى المجتمع مثل ما يسديه من يحيطون به سواء بسواء .

عبد العال الهنكاوى

عليك . . وإياك

لآباء الأطفال ذوى السمع الضعيف

عليك

---

١ — دعه يعرف أنك واثق ومعجب به .

٢ — دعه يرى أن أسرته كلها تحبه وتعزه .

٣ — عامله كأنك تتوقع منه أن يتكلم ، وأعلم أنه يفهمك عندما يكون ذلك واضحا بيّنا .

٤ — قم معه بلعبة من ألعاب التسلية ودعه يلاحظ وجهك عندما تتكلم .

٥ — قم بلعبة من ألعاب التسلية أمام مرآة حتى يستمتع بملاطفتك وأنت تقلد حركات الوجه .

٦ — أتح له فرصة للنمو والاضطلاع ببعض المسئولية .

٧ — اقرأ له وأره بعض الصور .

٨ — تحدث إليه واطلب إلى غيرك أن يفعل ذلك أيضا .

٩ — أتح له فرصة لانماء مقدرته الخاصة ومواطن اهتمامه .

١٠ — تحدث إليه بصوت طبيعي عادى وفى جمل كاملة .

١١ — توقع منه ما يقع اجتماعيا فى نطاق عمره ومستواه الفكرى .

١٢ — دعه يفعل وحده الأشياء التى يستطيعها ، فان ذلك يبث فيه الثقة بنفسه ويعوده الاعتماد عليها .

١٣ — ساعده وأنت تعلمه كيف يساعد نفسه .

١٤ - استعمل التوجيهات المشجعة الإيجابية المعينة إذا أردت منه أن يطيعك .

١٥ — أكد له النجاح .

١٦ — تعاون مع الطبيب والفاحص الصحى والأخصائى التعليمى والمعلمة ورئيس المدرسة .

١٧ - علمه الطاعة .

١٨ — تحدث إليه وزد من الحديث معه مع مضى الوقت ولا تقلل منه .

١٩ — عليك بالصبر والتأنى وتخصيص الوقت الكافى وبذل الجهود الصادقة .

٢٠ — اشرح له فى عناية وأناة أكثر حوادث الحياة اليومية حيوية فى المنزل .

٢١ — أنتفع بما تبقى له من قوة السمع كائنا ما كان . استعمل فضلة السمع المتبقية له مهما يكن مقدارها .

٢٢ — ابدأ فى الحال فى تدريب عينيه على القيام بوظيفة أذنيه أو على مساعدتهما .

٢٣ — واجه الضوء دائما عندما تتحدث إليه . أن الضوء إذا كان ساقطا على ذلك يلقى ظلالا على وجهك ويجعل قراءة الشفاه عسيرة .

٢٤ — علمه ما هو لك وما هو له .

٢٥ — احتفظ بسجل يومى لوجوه نشاطه ·

٢٦ — تحدث وتحدث وتحدث !

أن قيمتها فوق كل تقدير فى تعلم اللغة واكتساب عناصر الكلام وتنظيم طبقة الصوت ووضعه .

اياك

١ — لا تصغ إلى الجار أو الأقارب عندما يتحدثون عن طفلك بأشياء حمقاء .

٢ — لا تشعر ان عليك أن تعتذر عن عجزه وقصوره .

٣ — لا تخجل منه . دعه يعرف أنك تعتقد أنه شخص ظريف ذو قيمة .

٤ — لا تحجزه عن غيره من الأطفال لأنه لايعرف الكلام ولا يسمع جيدا مثلهم ، إذا قد يكونون خير معلميه .

٥ — لاتدع قصوره يزعجك اكثر مما ينبغى . فلسوف يحس هو ايضا بقلقك وانزعاجك .

٦ — لاتنس أن الوالد شخص هام فى حياة الطفل أيضا .

٧ — — لاتعقد مقارنة بينه و بين إخوته أو أطفال جارك .

٨ — لا تلم نفسك ، بل ابدأ فى الحال بمحاولة مساعدته .

٩ — لاتدع أحدا من أعضاء الأسرة يعامله كأنه وليد لا يفقه شيئا .

١٠ — لا تخش أن تتركه ينمو ويتقدم من نواح أخرى كأى طفل .

١١ — لاتتحدث فى كلمات مفردة . أنه ليرجح أن يكون أكثر فهما مما تعتقد فيه .

١٢ — لاتصح فيه بصوت مرتفع . بل تحدث إليه فى صوت طبيعى قريبا من أذنه . أن صوتك سيكون أشد ارتفاعا بالنسبة إليه مما تظن .

١٣ — لاتتولى قضاء حوائجه كلها كأنه مغلول اليدين والقدمين .

١٤ — لا تبالغ فى حركات شفتيك ، فان ذلك يجعل فهم الكلام أصعب وأشق.

١٥ — لاتصحح كل كلمة يقولها ، بل تقبل كلامه وشجعه عليه .

١٦ — لاتتوقع أن يكون تقدمه عاجلا . أن التقدم يحدث بالتدريج .

١٧ — لاتكن أكبر عقبة فى سبيله .

١٨ — لا تحلم بوجوه « العلاج » و « الشفاء » .

١٩ — لا تضع الوقت والقوة عبثا فى النواح على فقد سمعه .

٢٠ — لا تلجأ معه إلى التهديد والوعيد .

٢١ — لا تلح فى النظر إلى الناحية السلبية بل حاول أن تثنى على ما يحققه من الأشياء .

٢٢ — لاتظهر له استخفافا به عندما تتحدث إليه ، بل دعه يعتقد أنك أشد اهتماما بالتحدث إليه منك بأى شىء آخر تستطيع عمله .

* * *

يرجع الفضل فى هذه الصفحات إلى الأستاذ أحمد سامى مدير المركز المصرى للسمع ١٣ شارع توفيق بالاسكندرية .

الطفل الاصم فى المدرسة

عرفت من المقالات التى يحتويها هذا الكتيب ماذا ينبغى أن تفعلى لطفلك قبل أن يلتحق بالمدرسة ، وسأقدم لك فى هذا المقال الختامى صورة لحقيقة المدرسة الحديثة للأطفال الصم ، تلك المدرسة التى قد يلتحق بها طفلك بعد ذلك التدريب الدقيق الذى توليته فى البيت .

ولكى تفهمى المدرسة الحديثة للصم وتقدريها حق قدرها لابد لك من النظر إلى تعليم الصم . وأنه لتاريخ طريف ممتع ومدهش كذلك .

فهل تعلمين مثلا أن أول مدرسة دائمة للصم فى البلاد المصرية لم تفتح أبوابها إلا فى ١٥ أبريل سنة ١٩٣٨ ، أى منذ ست عشرة سنة فقط ؟ أما مؤسسة تلك المدرسة ، وهى الآن موضع الحمد والتمجيد كمؤسسة التعليم العام للصلا ، فقد كانت سيدة تسمى تاسيو .

أما قبل ذلك فقد كان ثمة بعض من يمارسون تعليم الصم ، ما دام الشخص الأصم من طبقة الأغنياء . ولم تكن هناك مدارس عامة للصم ، بل لقد كان معظم الناس فى الحقيقة يعدون الصم فئة شاذة غير مستكملة القوى العقلية .

أما اليوم ، فاننا نعلم أنه لا يوجد أساس مطلقا للعقيدة القديمة بأن ثمة نقصا بعقل الشخص المبتلى بالصم ، كما نعلم اليوم أن تلك العقيدة الخاطئة نشأت عن تخليط لغوى . كتب الفيلسوف العظيم أرسطو Aristotle نحو سنة ٣٥٠ قبل الميلاد « جميع الصم يصيرون بكما » . ولقد كان أرسطو يعد دائما من أكبر الثقاة

وكلمة « أبكم » فى اللغة اليونانية تحتمل معنى اضافيا هو « عديم العقل » . وعلى ذلك فقد حمل الناس قول أرسطو على غير محمله وظنوا أنه يعنى أن جميع الصم يفقدون من البله والمفاليك ، وهو معنى لم يقصد اليه أرسطو بحال من الأحوال . والآن ، بعد مضى ست عشرة سنة على تأسيس أول مدرسة عامة للصم بمعرفة السيدة تاسيو ، توجد ٤ مدارس مستديمة ومدرستان خاصتان ظائفيتان يبلغ مجموع طلبتها ١٥٠٠ ومجموع موظفيها ٥٠ معلما .

حرب الطرق والوسائل — من أهم الحقائق الخاصة بتعليم الصم أن نوع التعليم الذى ينالونه رهن بموقف الشعب حيال أولئك الذين منوا بعاهة الصمم . ونتيجة لذلك فان مدارس الصم لا تستطيع أن تعمل سوى ما يسمح لها الشعب بعمله لا أكثر ولا أقل . ففى غضون خمس سنين من قيام السيدة تاسيو بفتح مدرستها مثلا خرجت إلى الوجود أربع مدارس أخرى للصم فى أنحاء البلاد المصرية . وقد كان هذا التطور سريعا إلى درجة حملت كثيرا من الناس عند انشاء مدرسة الزيتون للصم فى سنة ١٩٤٥ على الشك فى وجود حاجة إلى هذه المدرسة ، وراحوا يتهمون الحكومة من جراء ذلك بالسفه والطيش .

ولم تكن المدارس الأولى قريبة الشبه بمدارس الوقت الحاضر إذ أن السيدة تاسيو تلقت تدريبها على الطريقة الكتابية الفرنسية . وكانت هذه الطريقة تبعا لذلك هى الطريقة التى اتخذتها المدارس المصرية الأولى . ولم تنشأ أول مدرسة دائمة للصم تستعمل الطريقة الشفوية الا فى سنة ١٩٤٨ أى بعد ست سنوات تماما وهى مدرسة محرم بك بمحطة الرصافة فى الاسكندرية .

وعند ذلك بدأت حرب « الطرق والوسائل » وهى حرب شنت بشدة وعنف طوال نصف القرن التالى ، ولا تزال كامنة كمون النار تحت الرماد ونيرانها تندلع بين الحين والحين . ما هى الطريقة المثلى لتعليم الصم ؟ أيجب أن نعلمهم

استعمال لغة الاشارات ، أم ينبغي أن نعلمهم الكلام ؟ وهل نستعمل الطريقة اليدوية أم الطريقة الشفوية ؟

وما دامت نيران هذه الحرب لا تزال تشب بين الحين والحين ، فلعله يكون من اصالة الرأى وحسن النظر أن نلم بماهية كل من الطريقتين ، وتزن حجج الفريقين .

أن لغة الاشارة للصم عبارة عن استعمال ضروب مختلفة من الاشارات باليدين لتأدية الافكار ونقلها . وتتكون لغة الاشارة من ثلاثة أنواع مختلفة من الاشارات : (١) الاشارات ذات الدلالة . (٢) الاشارة التقليدية . (٣) الاشارات التعسفية .

والاشارات ذات الدلالة هى الاشارات التى يدل ظاهرها على الفكرة التى تحاول التعبير عنها كما تدل الصورة فى الكتاب على الشيء الذى تصوره . فاذا تظاهرت مثلا كأنك تخيطين بابرة خيالية ، أدرك الشخص الذى يلاحظك فكرة الخياطة . ولست فى حاجة إلى الشرح والايضاح ، فان الاشارة تفيد الخياطة. وعلى ذلك فانها أشارة ذات دلالة .

والاشارات التقليدية هى تلك الاشارات التى تؤدى الفكرة بايضاح جزء منها فقط . ويجب أن تكون الاشارة متفقا عليها من قبل ، ويجب أن تعلم إذ أنها ليست واضحة الدلالة من أول وهلة . فالاشارة التقليدية التى تعنى البن مثلا هى حركة تبدو شبيهة بحركة طحن البن فى الآلة الخاصة بذلك . فاذا لم تكونى على علم بأن الطحن هو أساس الاشارة ، وإذ لم تكونى على علم بأنه يعنى البن ، كان الأغلب أن تعجزى عن تخمينها . هذا مثال من الاشارات التقليدية ومعظم لغة الاشارة للصم مؤلف من هذه الاشارات .

ولعلك قد أدركت أن الاشارات التصفيـة هى أشارات لاتشبه الشيء أو الفـكرة التى تدل عليهـا ، بل اصطلح بعض الناس على أن تدل هـذه الاشارة أو تلك تدل على اللون الأرجوانى فشاع استعمالها وجرى بها العرف . وقل مثل ذلك فى الفـكرة والصفة واللعب وحقيقى وغيرها من الـكلمات الـكثيرة .

وفى لغة الاشارات تلقى مشقة وجهدا فى الالمام بالمعانى التى يختلف بعضها عن بعض اختلافا دقيقا. فهناك مثلا اشارة واحدة للدلالة على هذه الـكلمات جميعا : ظريف و بديع وعجيب وأنيق ورشيق .

كذلك لا تستطيع فى لغة الاشارات ولا تعنى بالترتيب العادى للـكلمات فى الجملة . فبدلا من أن تحصل بالترتيب على فـكرة « ولد قوى » وهو الترتيب الطبيعى للـكلمات ، تقول « قوى ولد » . كذلك لا تستطيع أن تحصل على فـكرة زمن الفعل . فبدلا من أن يقال « ذهب أناس كثيرون إلى المعرض أمس » يجب أن يقول المرء بلغة الاشارات « كثيرون أناس إلى المعرض أمس ذهبوا » .

و يوجد نوعان رئيسيان من الطريقة الشفوية لتعليم الصم ، والذين يحبذون الطريقة الشفوية يعارضون لغة الاشارات أو الطريقـة اليدوية أشد المعارضة . والنوع الأول من الطريقة الشفوية تسمى « طريقة العنصر » وقد وصلت بها إلى درجة الـكمال الدكتورة كارولين ييل (CAROLINE YELE) . وفـكرة طريقة العنصر هى تعليم الطفل صوتا منفصلا وصوت كل مقطع وكل حرف متحرك وكل ساكن مزدوج . فاذا ما ألم تمـام الالمام بهذه الأصوات جميعا يعلم الطفل أن يضمها معا فى كلمات . وقد حورت طريقة العنصر إلى « طريقة المقطع » وفى هذه الطريقة تعلم مقـاطع مختلفة ، والنظرية القائمة عليها هـذه الطريقة هى أن صوت

الحروف المتحركة يتوقف على المقطع الذى يتفق وجودها فيه، وأنها فى تغير مستمر. وهذا التحوير فيما يبدو أحسن أثرا فى جعل الطفل يتكلم فيما يقرب من الطلاقة الطبيعية من طريقة العنصر الأصلية .

أما النوع الأساسى الثانى الحديث من الطريقة الشفوية فهو النوع « المركب » أو « الطبيعى » . وفيه يعلم الطفل النطق بكلمات كاملة قبل أن يتعلم الأصوات المفردة وأصوات الحروف المتحركة والساكنة والمتحركة المزدوجة . وهم يستعملون هذه الكلمات الكاملة فى لعبهم وفى التعبير عما يجول فى خواطرهم . وهذه الطريقة قائمة على فكرة أن أصوات الكلام العربى كلها تقريبا يمكن وضعها فى شىء ذى معنى للطفل . وقد تعجب إذا علمت أنه منذ خمس سنين كان يعتقد بهذا الرأى الدكتور أحمد سامى أحد مؤسسى العيادة المصرية لتحسين السمع .

وأيا كانت الطريقة الشفوية التى تستعمل ، فان الطفل يجب أن يحسن قراءة الشفاه . وليست قراءة الشفاه بالأمر السهل اليسير . بل أنك لو فكرت فيها لتملكتك الريبة والشك وكدت تقول أنه من المحال أن يتعلم أحد من الناس قراءة الشفاه فى اللغة العربية . فمهما يكن الأمر فان أكثر من ٤٠ فى المائة من الحركات فى الكلمات العربية غامضة مبهمة . ونحو نصف هذه النسبة تقريبا خفى غير منظور . خذ كلمة درج مثلا وانطق بها أمام مرآة ترى أنه غير ظاهر سوى حركة واحدة مع أن الكلمة مؤلفة من ثلاث حركات من أعضاء النطق فيك . وهناك بعد ذلك حقيقة أخرى ، وهى أن كثيرا جدا من الكلمات تبدو متشابهة على الشفتين . وقد ضرب لك الدكتور عبد العال الهنكارى عدة أمثلة على ذلك ، واليك أمثلة أخرى ما انفكت تسترعى انتباهى ، وهى الكلمات : بان ــ بات ــ فات ــ قات ــ زان ــ ران ــ دان ، وهذه جميعا تبدو متشابهة فى قراءة الشفاه .

أن قراءة الشفاه تبدو مستحيلة ، ولكن فى الامكان مع ذلك عملها والناس يتعلمون فعلا هذه القراءه .

وكثير من المدارس الحديثة تقدم دروسا غير الرسمية فى الفصل الخامس تقريبا ، وتقدم دروسا رسمية من ذلك الفصل فما فوقه . و بعبارة أخرى عندما يبلغ الطفل السن التى تتيح له فهم النواحى الفنية لحركة الشفة والفك والعضل ، فانهم يبدأون فى تعليمه اياها . أما قبل ذلك فانهم يبذلون أقصى ما فى وسعهم على نحو شبيه بما وصفه الدكتور عبد العال الهنكارى .

والآن وقد وصفنا لك الطريقتين ، فلننظر فى حجج أنصار لغة الاشارة ، وأنصار الطريقة الشفوية .

ماذا يقول أصحاب الطريقة الكتابية :

(١) أن جميع الكلام الذى لا يصل عن طريق السمع صناعى آلى عسير فهمه على معظم ذوى السمع السليم من الناس .

(٢) أن تعليم الكلام للطفل العاجز عن السمع يستغرق وقتا أطول مما ينبغى من حياته . وهذا الوقت من الأفضل انفاقه فى القيام بشىء آخر أجل أثرا من الناحية العملية وأجزل نفعا .

(٣) لا مفر من أن تكون فصول الطريقة الشفوية صغيرة وتبعا لذلك فان تعليم الطفل بالطريقة الشفوية أكثر نفقة .

(٤) لغة الاشارة هى اللغة الوحيدة التى يمكن أن تفهمها جماعة كبيرة من ذوى الصمم .

(٥) بعد انتهاء فترة الدراسة لا يستعمل غير قليل من الناس ذلك الكلام الذى انفقه فى تعلمه هذا الزمن الطويل . وهم يرتدون عادة إلى لغة الاشارة .

ماذا يقول أنصار الطريقة الشفوية —

(١) أن لغة الاشارة لغة أجنبية بكل ما فى هذا الوصف من معنى ، ولا تفهمها غير نسبة ضئيلة من الناس .

(٢) المصابون بالصمم محاطون بأناس لا يتكلمون بلغة الاشارة ولا يفهمونها .

(٣) إذا تعلم الطفل الأصم لغة الاشارة فلن يكون لديه متسع من الوقت لتعلم الكلام . ونتيجة لذلك فانه برغم سلامة أعضائه الصوتية وقدرتها على تأدية وظائفها ، ولا يغدو ذلك الطفل أصم فحسب ، بل أبكم كذلك .

(٤) لو أن قدرة المصاب بالصمم على الكلام وقراءة الشفاه لا تمكنه إلا من فهم جزء قليل مما يقوله ذوو السمع السليم ، ومن التحدث اليهم فى مناسبات قليلة ، فان ذلك خليق بأن يساعد أعظم المساعدة فى وقاية المصاب بالصمم من الشعور بأنه فى جزيرة منقطعة من وحدة الصمت فى بحر يضطرب بالحركة والنشاط الفاتنين .

(٥) اذا تعود الشخص الأصم استعمال الاشارات ، فانه يتعود كذلك التفكير على شكل ونظام الاشارات . وذوو السمع السليم فيما يقرر أعظم مفكرى الوقت الحاضر يفكرون على نظام قواعد اللغة كتقديم الفعل على الفاعل والمبتدأ على الخبر كما يفعلون فى عبارة ولد قوى مثلا ، وهذا هو النوع الأساسى للتفكير وعليه يقوم معظم الناس بعمل الأشياء ، فلا يعمل الناس على طريقة « قوى ولد » . والقراءة كلها (وهى فى مقدور الشخص الأصم كغيره من الناس تماما) تكتب على هذا النظام الذى تفرضه قواعد اللغة . أما مع التفكير على نهج لغة الأشارة ، فان القراءة تغدوا أشد صعوبة وعسراً ، و بذلك يغدوا التعليم شاقا مرهقا .

(٦) ليس ثمة من شىء صناعى متكلف حتما فى تعلم الكلام من قراءة الشفاة بدلا من السمع . فان الأعضاء الصوتية للشخص الأصم لاتختلف عنها فى الشخص ذى السمع السليم . وانه لأدنى إلى الطبيعة بلاريب أن تستعمل الأعضاء الصوتية السليمة تماما ، لا تتركها مهملة صامتة .

هذه هى حجج الفريقين . ولعل أسوأ ما فى هذا الجدل والخصام فى تاريخ تعليم الصم ليس كون أحد الفريقين مصيب إصابة مطلقة أو مخطىء خطأ مطلقا ، بل هو أن كثيرا من الوقت والجهد قد أضيع فى الخصام والجدل ، بدلا من أن ينفق فى العناية بالصم . أن عقــولا كبيرة كان فى وسعها أن تساهم أجل المساهمة فى زيادة معارفنا قد أضاعت وقتهـا هباء فى هذا اللجاج .

ماهو التدريب المدرسى فى الوقت الحاضر؟ : هذا التاريخ كله جدير بأن يساعدنا على تقدير المدرسة الحديثـة للصم . ولـكن يجب ألا يغيب عن بالنا أن حرب الوسائل التى وصفناها كانت دائرة الرحى منذ ١٥ سنة . والمدرسة الحديثة تختلف كل الاختلاف عن المدارس التى كانت تعمل فى زمن « حرب الطرق والوسائل » .

أن التلامذة بأى مدرسة للصم يتبعون اليوم نفس الأسلوب ويتعلمون نفس الحقائق ويلعبون معا على نفس النحو الذى يمارس به ذوو السمع السليم من الأطفال هذه الأعمال بالمدارس العامة . بل أن هناك اهتماما بالغا فى الوقت الحاضر بتطبيق النظام الذى نسميه « إشاعة الصبغة الاجتماعية » ، وهو حمل الأطفال على اللعب معا والأئتلاف بعضهم مع بعض ، ومع ذوو السمع السليم من الأطفال . وكثيرا جدا ما يختلط الأطفال الصم مع أندادهم من ذوى السمع السليم فى البيزبول وكرة القدم وغيرهما من ألوان الرياضة ، وفى برامج الكشافة وغيرها من نواحى النشاط .

والنظرية التعليمية المتبعة فى أغلب مدارس الصم فى الوقت الحاضر هى تأهيل الطريقة لتلائم الطفل ، لا تأهيل الطفل ليلائم الطريقة . وبعبارة أخرى قد خفف

الزمن من تلظى الجدل والخصام بين الطريقة الشفوية والطريقة اليدوية . وتوجد اليوم بعض المدارس الشفوية المطلقة ، ولكن المدرسة المستديمة النموذجية تستعمل ما ندعوه « النظام المشترك » .

وتحديد هذا النظام المشترك كما ينشر كل سنة فى « أخبار السمع » هو :

يعد الكلام وقراءة الكلام (قراءة الشفاة) على أعظم جانب من الأهمية ! ولكن إنماء القوة الذهنية وتحصيل اللغة يعدان مع ذلك أشد أهمية وأجل خطرا . والمعتقد أنه فى بعض الحالات يمكن تحقيق إنماء القوة الذهنية وتحصيل اللغة على أحسن وجه بواسطة الطريقة اليدوية أو طريقة حروف الهجاء اليدوية . و بقدر ما تسمح الظروف تختار لكل تلميذ الطريقة التى تبدو أكثر مناسبة لحالته الفردية . فالكلام وقراءة الكلام يعلمان حيث يرى أن مدى النجاح يبرر ماينفق فى ذلك من الجهد ، وفى بعض الفصول و بعض المدارس التى تحتضن النظام المشترك تتبع الطريقة الشفوية أو السمعية بدقة .

والقائمون اليوم بالتعليم يعلمون أن الأطفال المولودين صما لايمكن مطلقا أن يتكلموا كغيرهم من الناس . ولكنهم يعلمون كذلك أن هؤلاء يمكن أن يتعلموا الابانة والتعبير عما يدور فى نفوسهم تعبيراً كافيا بحيث لو كان السامع راغبا فى أن يبذل شيئا من الجهد فانه يستطيع الفهم عنهم . وأن هؤلاء المعلمين ليعلمون علما لايتطرق اليه الريب أن الطفل الأصم يستطيع أن يتعلم كيف يعى مايقوله سواه بواسطة قراءة الشفاه .

ولقد أدرك المفكرون فى بداية القرن العشرين أن قليلا جدا من الناس مصابون بالصمم المطلق التام ، فكان من جراء ذلك أن اتجهت الجهود الجدية الصادقة إلى إنماء مايملك الطفل من قوة السمع مهما تكن هذه القوة ضئيلة ؛

وساعدت الطرق التى تمخضت عنها هذه الجهود (والتى وصفها الدكتور عبد العال الهنكارى وغيره بهذا الكتاب) على تعليم الطفل الكلام إلى درجة عظيمة .

أن تعليم الصم فى الوقت الحاضر لم يبلغ بعد حد التمام والكمال . ولكن فى وسعك أن ترى أنه قد قطع شوطا بعيدا منذ عصر أرسطو . ومن المناسب جدا فى هذا المقام أن أعيد الحقيقة التى سبق لى إيرادها « من أهم الحقائق الخاصة بتعليم الصم أن نوع التعليم الذى ينبغى أن يحصلوا عليه رهن بموقف الشعب حيال من ابتلوا بعاهة الصم » . وأنتم يامعشر والدى الأطفال الصم جزء من « الشعب » إذا قمتم بما فى إمكانكم عمله فى المنزل . و إذا تقاسمتم الآراء والأفكار ، وعضدتم الاجراءات التى ستقدم اليكم وإلى أطفالكم أجل العون وأجزل النفع ، فان تعليم الصم يمكن أن يغدو أقرب إلى مستوى الكمال .

فريد عشماوى

الكابتن احمد سامى

يمهد السبيل إلى السعادة فى السمع

(نشرة فى جريدة الأهرام والجورنال ديجبيت بتاريخ ٢٠/١٠/١٩٥٠

اليوم تتحقق آمال ٥٠٠٠٠٠ من الرجال والنساء والأطفال فى القطر المصرى الذين يعانون نقص فى السمع .

فها هو جهاز للسمع جميل الشكل ، محكم الصنع ، صغير الحجم إلى درجة أنك تستطيع اخفاءه فى راحة يدك ، يتيح أحسن وأعظم ما أمكن الوصول اليه من مداناة السمع الطبيعى ومحاكاته .

« حدث عن الراحة باستعمال جهاز السمع ولا حرج ! أن جهازى سامى الجديد من صغر الحجم وخفة الوزن بحيث لا أكاد أشعر أننى ألبسه . أما عمله فما أعجبه ! أنه لمن العسير أن يعتقد المرء أن آلة فى هذه الخفة الفائقة يمكن أن تكون لها مثل هذه القوة والوضوح » .

« أن علبته المصنوعة من الذهب والفضة الحقيقيين جميلة الشكل أيضا . أجل . . انى ألبس جهازى سامى فى زهو وفخار . »

قد تغدو هذه كلماتك أنت عندما تلبس جهاز سامى لأول مرة . ولما كان جهاز سامى يزن أوقية واحدة تماما ، فأنه يحوى تحسينات اليكترونية جديدة تكفل لك خدمة ممتازة وراحة جديدة فى السمع .

ومختبر البطاريات ومالنها ميكروميزر يزيد فى حياة البطاريتين « ا » و « ب » زيادة عظيمة .

ومنتخب الصوت الذى يدور على ثلاث جهات يمكنك من تخفيف الضوضاء الخلفية غير المرغوب فيها ، سواء أكانت من التكرار العالى أم المنخفض .

أما (PrinteD Circuit) شبكة سامى المطبوعة الخاصة والمصنوعة من البلاستيك البوليسترينى فانها معجزة لهندسة الدقة والاحكام .

فاذا أردت احراز « بهجة العمر » فعليك بانضمام إلى الألوف الذين يفتخرون باستعمال جهاز سامى . قم بزيارة المركز المصرى للسمع .

١٣ بشارع توفيق الاسكندرية تليفون رقم ٣٤٧٩٤

قم بزيارته اليوم لكى تجرب السمع وترى الجهاز . . . وستكون مغتبطا بهذه الزيارة .

وسماعة الأذن « فانتوم ايرمولد » من أصغر ما صنع من السماعات ، ويصل السماعة بآلة الاستقبال الخفية أنابيب شفافة لا ترى .

وهكذا لم يعد الآن من الضرورى أن تضع بأذنك « زرا » . لاحاجة بك إلى التردد فى استعمال جهاز للسمع من أجل المظهر .

دع خبير المركز المصرى للسمع يريك كيف تعثر على الثقة والاطمئنان بواسطة أدوات السمع الخفية « فانتوم » .

وهاك ماكتبته الينا أحدى الشخصيات الكبيرة « أن جهاز السمع الذى أستعمله لا يرى قط ! »

« وليس ثمة ما ينم على أنى ألبس جهاز السمع سامى ! »

« إنى مطمئنة هادئة البال حينما اذهب سواء إلى الجامع أو إلى الحفلات أو إلى المسرح أو لزيارة أصدقائى .

« أجل لقد أصبت فى جهاز سامى ثقة واطمئنانا جديدين . . ووضوح أدائه للصوت وضوحا عجيبا رائعا مصدر راحة دائمة لى كذلك »

« أعظم بها من نعمة أن يسمع المرء سمعا طبيعيا وهو يستعين بجهاز خفى » .

وجهاز سامى يعنى سمعا واضحا غير متقطع وفهما للأصوات التى تريد سماعها على حقيقتها وطبيعتها . وهذا السمع لا تشو به خشخشة الثياب ولا الضوضاء ولا الغمغمة الدائمة المبهمة ولا التشويه .

وقد كان الهدف الذى قصد اليه مهندسو وصناع المركز المصرى للسمع الذين وضعوا تصميم هذا الجهاز الرائع الجديد وأنتجوه هو « أن يستطيع حتى الطفل الصغير أن يسمع . . بوضوح وسهولة وراحة » . وقد تضافر العلم والأيدى البشرية على أن تجعل جهاز سامى الجديد مثلا لدقة أداء الصوت ، وأحكام التصميم ، وجمال الشكل ، وحسن الخدمة ... بل أعظم مرحلة من مراحل التقدم فى نصف قرن من الجهد الدائب لترقية السمع .

ومتى كان الأمر يتعلق بسمعك ، لم يكن لك مناص من الحصول على أحسن ما فى الامكان . فعليك حين تختار جهازا للسمع أن تتذكر جودة وكفاءة جهاز سامى وحسن خدمة المركز المصرى للسمع .

محتويات الكتاب

ملاحظـــــــــــات

أحذروا الغش و الاعلانات المضللة

أن لدينا فى مصر ثلاثة وعشرون متعهداً لبيـع أجهزة السمع كلهم من محال بيع أجهزة العرض والوكلاء (القومسيونجية) و باعة الراديو وأصحاب مخازن الادوية ومحلات بيع الساعات والنظارات .

سلهم هل يعرفون شيئاً عن أجهزة السمع أو هل يستطعون أن ينبئوك كيف يعمل أى جهاز للسمع . وسلهم كذلك هل يعرفون شيئاً ما عن التركيب الدقيق لأذنك . فان كل غرضهم الغش وتضليل وسرقة ضعاف السمع المساكين واعلان عن ميزات لاتوجد فى مستورداتهم الآتية :

ACOUSTICON - ADITONE - AKUMED - AMPLIVOX - ARDENT - AUDIUM - AUDIVOX - BELTONE - BONOCHORD - BROWN - FORTIPHONE - KOLSTERHONE LECTRON - MAICO - MULTITONE - OMIKIRON - OMNITON - OTICON - PHILIPS - SIEMENS - SONOTONE WENDTON - WESTREX - ANDMAYOTHERS .

وهم يبيعون هذه السماعات بأسعار فاحشة إذ يتراوح ثمنها بين ٧٠ و ٩٠ جنيها مع أن قيمتها الحقيقية للمستورد تسليم محله بجميع المصاريف الجمركية وخلافهـا لايزيد عن ١٥ جنيها خمسة عشر جنيها . ومن هذا ترون مدى استغلالهم لمصائب وأمراض الأهالى .

... سلوهم عن أسباب جشعهم ...


Bibliotheca Alexandrina
04829336